- فإبدال السين صاداً قبل القاف، يمكن تفسيره في ضوء المماثلة الصوتية(١) الرجعية regressive assimilation:

فالسين صوت مرقّق.

والقاف صوت مفخّم (جزئيًا).

أثّر الصوت المفخم على سابقه المرقّق، وحوّله إلى نظيره المفخم(٢) (الصاد)، ليحصل التماثل في التفخيم، فمثلاً:

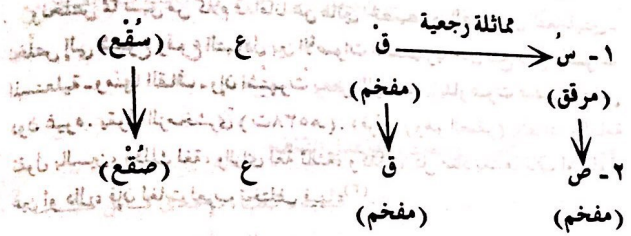

= وتنقسم المماثلة بحسب «قدْر التأثير» إلى (مماثلة تامة) حين يماثل الصوت المتأثر الصوت المؤثر تماماً، و(مماثلة جزئية) حين يشابهه فقط. وتنقسم المماثلة بحسب «اتجاه التأثير» إلى (مماثلة تقدمية) حين يحصل التأثير من السابق على اللاحق، و(مماثلة رجعية) حين يحصل العكس. كما تنقسم المماثلة بحسب «مدى التجاور» إلى (مماثلة تجاورية) حين لا يكون ثمة فاصل بين الصوتين: المؤثر والمتأثر، و(مماثلة تباعدية) حين يكون ثمة فاصل.

انظر - في تفصيل القول في ذلك -: التطور النحوي للغة العربية ص٢٨ - ٣٣، ود. أنيس: الأصوات اللغوية ص١٧٩ - ١٨٨، والتطور اللغوي: مظاهره ص٣٠ - ٥٦، ودراسة الصوت اللغوي ص٣٧٨ - ٣٨١، وأسس علم اللغة ص١٤٧، ود. الخولي: الأصوات اللغوية ص١٧٩ - ١٨٨.

وانظر - كذلك:
- Historical Linguistics, PP. 158 - 159.

(١) وانظر: في اللهجات العربية ص١٣٠، واللهجات العربية في التراث ٢/٤٤٦، واللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص١٥٠، ولهجة تميم ص٩٢ - ٩٣، ولغة تميم ص١٥٤ - ١٥٥.

(٢) لا فرق بين السين والصاد سوى في صفة التفخيم (الإطباق) فالصاد هي النظير المفخم للسين، والسين هي النظير المرقق للصاد. وانظر: الكتاب ٤/٤٣٦، والرعاية لتجويد القراءة ص٢١١، ود. أنيس: الأصوات اللغوية ص٧٧.

الراجح - هنا - أن تكون القاف في هذه الأمثلة الصادية - أو في الشطر الأكبر منها لا سيما تلك المنسوبة صراحة إلى بني العنبر - هي القاف التميمية المهموسة (= قاف القرّاء) - على ما رجحتُ في المبحث الأول - إذ أن الأقرب إلى التأثير في السين المهموسة وتحويلها إلى نظيرها المفخم المهموس (الصاد) هو القاف المهموسة - كذلك - لا المجهورة (البدوية).

وتفسير تلك المماثلة - بعد - من حيث آلية النطق هو: أن «أعضاء النطق تستعدّ لنطق الصوت قبل نطقه فعلاً، الأمر الذي يؤثر على نطق الصوت السابق»(١)، وهذا يعني - فيما يعني - أن «عملية التفخيم تبدأ قبل نطق الصوت المفخَّم، وتستمرّ بعد نطقه، الأمر الذي يؤدي إلى تفخيم الأصوات السابقة والأصوات اللاحقة»(٢) فهذا يفسّر تفخيم السين (= نطقها صاداً) قبل القاف، بفرض أن السين هي الأصل.

وأما تعليل ذلك، فهو اقتصاد الجهد، والتماس السهولة، بتحقيق الاطراد في هيئة النطق: من مفخم إلى مفخم، بدلاً من الانتقال من مرقق إلى مفخم(٣) وهذا ما عبّر عنه سيبويه (ت١٨٠هـ) بقوله - في تعليل إبدال السين صاداً قبل الأصوات المستعلية: «... ليكون العملُ من وجه واحد»(٤)، وعبارة المبرِّد (ت٢٨٥هـ): «..ليكون تناولهما من وجه واحد»(٥)، وفصَّل ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) فقال: «وإنما ساغ قلْب السين صاداً إذا وقعتْ قبل هذه الحروف، من قِبَل أن هذه الحروف مجهورة (كذا) مستعلية، والسين مهموس مستفل؛ فكرهوا الخروج منه إلى المستعلي؛ لأن ذلك مّما يثقُل؛ فأبدلوا من السين صاداً؛ لأن الصاد توافق السين في الهمس والصفير، وتوافق هذه الحروف في الاستعلاء؛ فيتجانس الصوت ولا يختلف»(٦).

(١)، (٢) د. الخولي: الأصوات اللغوية ص٢١٨.

(٣) وانظر: دراسة الصوت اللغوي ص٣٨٦، ود. الخولي: الأصوات اللغوية ص٢٢٥.

(٤) الكتاب: ٤/٤٨٠.

(٥) المقتضب: ١/٣٦٠.

(٦) شرح المفصل ١٠/٥٢. وانظر - كذلك: ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة ص٣٣٨، والممتع ١/٤١١، وشرح الشافية ٣/٢٣٠. ووصْف ابن يعيش للأصوات المستعلية التي تبدل السين قبلها صاداً بالجهر، هو على سبيل التغليب، وإلا فإن الخاء مهموسة.

Scanned with CamScanner

وقد تأسّس هذا الترجيح على شهرة هذه القاف البدوية من ناحية، وعلى أنها لا تباين وصف القدماء إلا من حيث تحديد المخرج، وقد أمكن تقسيم ذلك كما مرّ.

رابعًا: رجّح البحث أن لقاف القراء أصلاً لهجيًا يرجع إلى قبيلة تميم، أو أحد فروعها. وقد تأسّس ذلك الترجيح - فيما تأسّس - على تحليل نصٍّ لابن دريد (ت٣٢١هـ) ورد فيه «توصيف» لهذه القاف التميمية، كما تأسّس كذلك على خصيصة صوتية تعاملية تتعلق بنطق السين صاداً قبل القاف لدى أحد فروع قبلة تميم. ولهذا الأمر قيمته، لأنه يثبت فصاحة تلك القاف وجواز قراءة القرآن الكريم بها كما هو شائع الآن.

خامسًا: رجّح البحث - في ضوء نصوص لابن خلدون والقسطلاني - أن القاف البدوية وقاف القراء المعاصرة قد استعملتا - متزامنتين - رداحًا من الزمن في قراءة القرآن الكريم. ثم صارت الغلبة للأخيرة، كما هو واقع الآن. إلا أن سبب هذه الغلبة، وتاريخ حصولها مازالا في حاجة إلى مزيد بحث وتفتيش.

سادسًا: أن التسليم بما قرره الدرس اللغوي المقارن من أن قاف القراء المهموسة المعاصرة تجسّد الأصل السامي يقود إلى القول بأن هذا الصوت قد تعرّض لنوعين أساسيين من التغير: تغير في مخرجه، وآخر في صفاته. فانتقال المخرج إلى الأمام أنتج القاف التي كالكاف، وانتقاله إلى الخلف أنتج القاف التي كالهمزة. وفقدان صفة الهمس أنتج القاف البدوية، ومن تلك الأخيرة تولدت القاف التي كالغين، والصورتان النطقيتان المزدوجتان الأخيرتان:

سابعًا: أمكن تقسيم ما أوردته كتب الإبدال - وغيرها - على أنه أمثلة لحصول الإبدال بين القاف وأصوات أخرى إلى قسمين متميزين: قسم تتحقق في أمثلته العلاقة الصوتية (ق/ك - ق/غ) وقسم لاتتحقق في أمثلته تلك العلاقة (ق/ب - ق/د - ق/س...).

ثامنًا: تبيّن من دراسة أمثلة (الإبدال) التي لا تتحقق فيها العلاقة الصوتية - أنها تخرج في مجملها من دائرة الإبدال إلى دائرة الترادف، أو شبهه؛ حيث وُجد - بالبحث - أن المعاني التجاذبية أصيلةٌ في كلٍ من جذور الاستعمالات المزعوم حصول الإبدال بينها؛ وهذا مما ينفي مظنة الإبدال، فضلاً عن إعواز العلاقة الصوتية.

تاسعًا: وجّه البحث إلى الأهمية الكبيرة لـ«المعيار الدلالي» في تحديد «الأصيل» و«المبدل» لدى دراسة أمثلة الإبدال؛ حيث تُرجّح أصالة الاستعمال الذي تُشبه دلالتُه المتجاذبة دلالات باقي استعمالات جذره. ويتأسس هذا المعيار على ما تتصف به العربية من وجود وشيجة دلالية بين استعمالات الجذر اللغوي الواحد.

عاشرًا: أمكن - بالاحتكام إلى هذا المعيار الدلالي في المقام الأول - دراسة الأمثلة الحقيقية لإبدال القاف (ق/ك - ق/غ). وترجيح «الأصيل» منها و«المبدل».

حادي عشر: أن أوضح تأثير للقاف في مجاوراتها يتجلى في تلك الجذور التي تحتوي على صوت صفيري (س - ص - ز) مسبوق بالقاف؛ إذ تتعدّد الصور النطقية لاستعمالات مثل هذه الجذور بتأثير القاف.

Scanned with CamScanner

ثانى عشر: أن هناك خصيصتين صوتيتين تعامليتين (مطردتين) تتعلقان بمثل هذه الجذور: الأولى (إبدال) السين صاداً قبل القاف - وكذلك: قبل الخاء والغين والطاء - والثانية: (إبدال) السين - وربما الصادق كذلك - زايًا قبل القاف خاصة. وقد وردت تلك الخصيصتان منسوبتين تارة (الأولى لبنى العنبر من بنى تميم، والثانية لقبيلة كلب)، وغير منسوبتين تارة أخرى، وكأنهما مسلك صوتى تعاملى عام.

ثالث عشر: أمكن تفسير تلك الخصيصتين الصوتيتين التعامليتين فى ضوء (قانون) المماثلة الصوتية الرجعية؛ تأسيسًا على اتصاف القاف بصفة التفخيم (الجزئى) مع الجهر أو الهمس: فاتصاف القاف بالتخفيم يقف من وراء (إبدال) السين صاداً لحيصل التماثل فى التفخيم. واتصاف القاف (البدوية) بالجهر يقف من وراء إبدال السين - وربما الصاد - زايًا (مفخَّمة غالبًا) ليحصل التماثل فى الجهر.

رابع عشر: أن تبادل السين والصاد قبل القاف فى هذه الجذور يفوق - كثيرصا - تبادل الزاى مع أى منهما، وربما يعكس ذلك أن صفة (التفخيم / الترقيق) أقوى تأثيراً من صفة (الجهر/الهمس) لدى تجاور الأصوات.

خامس عشر: رجح البحث أن تكون القاف فى الاستعمالات الضادية (سُوق - صُوق) هى القاف التميمية المهموسة، على أساس أن الأقرب إلى التأثير فى السين المهموسة وتحويلها إلى نظيرها المفخم المهموس (الصاد) هو القاف المهموسة كذلك، لا المجهورة (البدوية).

كما رجّح البحث أن تكون القاف فى الاستعمالات الزائية (لِصْق - لِزْق - لِسْق) هي القاف البدوية المجهور، على أساس أن اتصافها بالجهر

هو ما أدى إلى «إجهار» السين - وربما الصاد كذلك - فصارت زايًا.

سادس عشر: تبين من كلام بعض قدامانا - كالخليل - أن حصول (الإبدال) بين السين والصاد قبل القاف لا يستلزم أن تكون السين هى الأصل، بل ربما كانت الصاد هى الأصل. وقد فسِّر هذا الاحتمال الأخير (التحول من الصاد إلى السين) على أنه ضرب من «الميل نحو الأيسر فونيميًّا» اقتصاداً للجهد.

•••

Scanned with CamScanner

وأما بفرض ثبوت أن صوت «الصاد» هو الأصل، وأن السين مبدل منه، فإنه يُمكن تفسير ذلك صوتيًا على أنه ضَرْبٌ من «التخفيف»[1]، ومَيْل نحو الأيسر فونيميًا؛ فلا شكّ أن السين أكثر بساطة من الصاد؛ لأن الأخيرة تقتضى عملية إضافية على حركات نطق السين. وهذه العملية تتمثّل فى حركة مؤخر اللسان إلى أعلى، وحركة جذره إلى الخلف»[2].

- وإبدال السين - أو الصاد - زايًا قبل القاف، يمكن تفسيره - كذلك - فى ضوء المماثلة الصوتية الرجعية؛ تأسيسًا على صفة الجهر مع (التفخيم) فى القاف، حيث تتعرض السين لـ«الإجهار»:

فالسين (وكذلك: الصاد) صوت مهموس.

والقاف صوت مجهور.

أثّر الصوت المجهور على سابقه المهموس، وحوله إلى نظيره المجهور[3] (الزاى)؛ لتحصل المماثلة صفة الجهر[4] فمثلاً:

مماثلة رجعية

س (ص)	←	ق	ر (سقر/صقر)
(مهموس)		(مجهور)	
↓		↓	↓
ز		ق	ر (زقر)
(مجهور)		(مجهور)	

(١) وانظر: ابن درستويه: تصحيح الفصيح وشرحه ص٥٠٨.
(٢) دراسة الصوت اللغوى ص٣٩٥.
(٣) لا فرق بين السين والزاى إلا فى صفتى الجهر والهمس؛ فالزاى هى النظير المجهور للسين، والسين هى النظير المهموس للزاى. وانظر: الرعاية لتجويد القراءة ص٢١١، ود. أنيس: الأصوات اللغوية ص٧٧.
(٤) وانظر: اللهجات العربية فى التراث ٢/٤٤٩، واللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص١٤٦-١٤٧.

والراجح أن تكون الزاى - هنا - زايًا مفخّمة، تُشبه الظاء المصرية الدارجة[1]، كما أن الراجح - كذلك - أن تكون القاف فى هذه الأمثلة الزائية - أو فى الشطر الأكبر منها - هى القاف البدوية المجهورة، إذ إن الأقرب إلى التأثير فى السين (أو الصاد) وتحويلها إلى النظير المفخم المجهور (الزاى التى كالظاء المصرية) هو القاف البدوية المجهورة أيضًا، لا التميمية المهموسة.

والقول فى تفسير تلك المماثلة وعلّتها - بعد - هو عين ما قيل فى تفسير المماثلة السابقة وعلّتها، مع استبدال تحقيق الاطّراد فى صفة الجهر (والتفخيم) بالاطّراد فى تحقيق صفة التفخيم (فقط)[2]. يقول الرضى الاستراباذى (٦٨٦٠هـ): «... وذلك أنه لما تباين الشين والقاف، لكون السين مهموسة، والقاف مجهورة، أبدلوها زايًا، لمناسبة السين للزاى فى المخرج والصفير، وللقاف فى الجهر»[3].

وأشير - أخيرًا - إلى أن شيوع تأثر صوت السين بالقاف - وسائر الأصوات المستعلية - إذا وقعت السين قبلها، أو رجحان احتمال حصول ذلك، قد حدا بعلماء التجويد إلى التوجيه بضرورة المحافظة على «إنعام تخليص» السين فى تلك الحال، وإلا انقلب صادًا[4].

* * *

٢.د. الأمثلة ومعيار ترجيح الأصالة:

إذا ما انتقلنا - بعد - إلى فحص الأمثلة التى أوردتها بعض كتب اللغة - وعلى رأسها كتب الإبدال والمعاجم - فإننا نجد تداخلاً شديدًا بين استعمالات الجذور المشتملة على هذا التجمع الصوتى (القاف مسبوقة بصوت صفيرى)، بحيث يصعب تحكيم «المعيار الدلالى» لترجيح «الأصالة» أو «الفرعية»، كما أن

(١) وانظر: بحوث ومقالات فى اللغة ج ص٢٣٥، واللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص١٤٦.
(٢) وانظر: د. الحوالى: الأصوات اللغوية ص٢٢٥.
(٣) شرح الشافية ٣/٢٣٣٣. وانظر - كذلك -: المحتسب فى شواذ القراءات والإيضاح عنها ٢/٢٨٣.
(٤) انظر - مثلاً -: الرعاية لتجويد القراءة ص٢١٢-٢١٣، والتحديد فى الإتقان ص٣١٩-٣٢٠، والتمهيد فى علم التجويد ص١٢٧، ولطائف الإشارات ١/٢٤٤.

Scanned with CamScanner

• د. تمام حسان:

- مناهج البحث في اللغة: دار الثقافة - الدار البيضاء ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

• ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحيى):

- مجالس ثعلب: تحقيق الشيخ عبد السلام هارون، دار المعارف - مصر (الطبعة الثانية).

• الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر):

- البيان والتبين: تحقيق الشيخ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة ١٩٧٥م.

• الجرجاني (علي بن محمد):

- التعريفات: تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

• ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد):

- التمهيد في علم التجويد: تحقيق د. علي حسين البواب، مكتبة المعارف - الرياض ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- النشر في القراءات العشر: تصحيح الشيخ علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة (دون تاريخ).

• ابن جني (أبو الفتح عثمان):

- الخصائص: تحقيق الشيخ محمد علي النجار، دار الهدى - بيروت (الطبعة الثانية).

- سر صناعة الإعراب: تحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم - دمشق ١٩٨٥م.

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: تحقيق علي النجدي ناصف ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

• جونستون، ت.م:

- دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية: ترجمة د. أحمد محمد الضبيب، مطبوعات جامعة الرياض ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

• الجوهري (إسماعيل بن حماد):

- الصحاح: تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

• ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد):

- جمهرة أنساب العرب: تحقيق الشيخ عبد السلام هارون، دار المعارف - مصر (الطبعة الخامسة).

• حفني ناصف:

- ميزات لغات العرب: جامعة القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٥٧م.

• د. حلمي خليل:

- التفكير الصوتي عند الخليل: دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ١٩٨٨م.

• د. حلمي السيد أبو حسن:

- لهجة القصيم: دراسة لغوية ٢٠٠١م (طبعة خاصة).

• الحميري (نشوان بن سعيد):

- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: تحقيق د. حسين بن عبد الله العمري ود. يوسف عبد الله ومطهر الإرياني، دار الفكر - دمشق ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

Scanned with CamScanner

- «أسقبت» دارُهم، و«أصقبت»: قربت... إلخ.

ولم يرد فى «زقب» استعمال مناظر لأىٍ من استعمالات «سقب» و«صقب»[1].

(سقح-صقح):

لم يرد فى كلٍ منهما سوى استعمال واحد؛ قال أبو الطيب اللغوى: «رجل أسقح وأصقح: إذا كان أصلع»[2].

ولم يرد فى «زقح» -باللسان- استعمال مناظر لذلك المذكور[3].

(سقر-صقر-زقر):

استعمالاتها متداخلة. وأوفرها استعمالات وشواهد: «صقر» ثم «سقر»، ثم «زقر».

ومن تلك الاستعمالات المتداخلة[4]:

- «الصَّقْر»، و«السَّقْر»، و«الزَّقْر»: الطائر المعروف.
- «سَقَرَتْه» الشمس، و«صقرته»: لوَّحته وأذابته.
- «السَّقَّار» و«الصَّقَّار»: اللعّان لغير المستحقين... إلخ.

(١) انظر: اللسان (زقب) ٣/١٨٤٤.
(٢) الإبدال ٢/١٧٧. وانظر- كذلك- اللسان (سقح) ٣/٢٠٣٦، و(صقح) ٤/٢٤٧٠.
(٣) انظر:: اللسان (زقح) ٣/١٨٤٤.
(٤) انظر: إبدال الزجاجى ص٦٤-٦٥، وإبدال ابى الطيب ٢/١١٧، ١٣٢، ١٨٦، ١٨٧، وابن جنى: الخصائص ١/٣٧٤، والمحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ٢/٢٨٣، والمقاييس (سقر) ٣/٨٦ و(صقر) ٣/٢٩٧، والمفردات ص٤١٤، وذكر الفرق بين الأحرف الخمسة ص٢١٧، واللسان (سقر) ٣/٢٠٣٦-٢٠٣٧ و(صقر) ٤/٢٤٧٠-٢٤٧١ و(زقر) ٣/١٨٤٤.

(سقع-صقع):

استعمالاتهما متداخلة؛ ولذا جاء فى اللسان: «كل ما يُذكَر فى ترجمة صقع- بالصاد- فالسين فيه لغة»[1].

ومن تلك الاستعمالات المتداخلة[2]:

- «سَقْع» الديك، و«صَقَع»: صاح.
- وخطيب «مِسْقَع»، و«مِصْقَع»: إذا كان جهير الصوت بليغًا.
- و«السُّقْع» و«الصُّقْع»: الضرب بباطن الكفّ.
- و«السُّقْع»، و«الصُّقْع»: الناحية.. إلخ.

ولم يرد فى «زقع» استعمالٌ مناظر لأىٍ من استعمالات «سقع» و«صقع» إلا قولهم: «زَقَع» الديك: صاح[3].

(سقل-صقل):

استعمالاتهما متداخلة، إلا أن «صقل» وافر الشواهد، على النقيض من «سقل»؛ ولذا يقول ابن فارس (ت٣٩٥هـ): «السين والقاف واللام ليس باصل؛ لان السين فيه مبدلة من صاد»[4]، ويقول الأزهرى (ت٣٧٠هـ) -بعد أن سرد استعمالات «سقل»-: «والصاد فى جميع ذلك أفصح»[5].

ومن الاستعمالات المتداخلة[6]:

- «السُّقْل» و«الصُّقْل»: الخاصرة.

(١) اللسان (سقع) ٣/٢٠٤٠. وانظر- كذلك: المقاييس (سقع) ٣/٨٧، و(صقع) ٣/٢٩٩.
(٢) انظر: إبدال ابى الطيب ٢/١٧٤، ١٨٩، وديوان الأدب ١/٢٩٨-٢٩٩، وذكر الفرق بين الأحرف الخمسة ص٣٣٣، واللسان (سق) ٣/٢٠٤٠، و(صقع) ٤/٢٤٧١-٢٤٧٢.
(٣) انظر: اللسان (زقع) ٣/١٨٤٤. (٤) المقاييس (سقل) ٣/٨٤.
(٥) تهذيب اللغة (سقل) ٨/٤٠٧. وانظر- كذلك-: اللسان (سقل) ٣/٢٠٤١.
(٦) انظر: إبدال ابى الطيب ٢/١٩٠، وذكر الفرق بين الأحرف الخمسة ص٣٣٥، واللسان (سقل) ٣/٢٠٤١، و(صقل) ٤/٢٤٧٣-٢٤٧٤.

Scanned with CamScanner

(القوانين) الصوتية تسوّغ إبدال السين صاداً - أو زايًا - وكذا تسوّغ إبدال الصاد سينًا قبل القاف، على ما بُيّن.

فلا يبقى من مرجّح - إذن - سوى وفرة الشواهد التي تعكس اشتهار استعمال بعينه - صادىً أو سينى (أو زائىً) - فى معنى بعينه، مما قد يعنى أصالته فى التعبير عن هذا المعنى، دون غيره مما يشاركه الدلالة على نفس المعنى، وبيابنه فى الصوت الصفيرىّ. جاء فى معجم العين: «قال الخليل: كل صاد قبل القاف، إن شئت جعلتها سينًا، لا تُبالى متصلة كانت بالقاف أو منفصلة، بعد أن تكون فى كلمة واحدة، إلا أن الصاد فى بعض الأحيان أحسن، والسين فى مواطن أخرى أجود»[1]، وعبارة ابن سيده (ت٤٥٨هـ): «وكل صاد وسين تجىء قبل القاف فاللعرب فيها لغتان: منهم من يجعله سينًا، ومنهم من يجعله صادًا، لا يبالون متصلة كانت بالقاف أو منفصلة...»[2].

ولم يبيّن الخليل (ت١٧٥هـ) - ولا ابن سيده مُتابعُه - معيار هذه «الأحسنية»، فلعلّها تكون ما قرونُه اشتهار الاستعمال فى التعبير عن معنى بعينه.

فمن الجذور التى تشتمل على استعمالات بالتوصيف السابق، مما أوردته كتب الإبدال خاصة، وبعض معاجم اللغة عامة، ما يلى:

(بزق - بسق - بصق):

استعمالاتها متداخلة، وإن كان بعضها أشهر فى بعض المعانى من بعض؛ وكلٌ من «بسق» و«بصق» أوفر استعمالات وشواهد من «بزق».

ومن الاستعمالات المتداخلة[3]:

- «البُصاق» و«البُزاق» و«البُساق»: التُّفْل المعروف، و«البصاق» أشهر.

(١) انظر: العين (صقع): ١/١٢٩.
(٢) انظر: المحكم (صقع): ١/٨٤.
(٣) انظر: إبدال الزجاجى ص٦٤، وإبدال ابى الطيب ٢/١٣، ١١٩، ١٢٩، ١٣٣، ١٧٣، ١٩٤، وديوان الأدب ١/٤٤٤، والمقاييس (بزق) ١/٢٤٤ و(بسق) ١/٢٤٧-٢٤٨ و(بصق) ١/٢٥٣، واللسان (بزق) ١/٢٧٦ و(بسق) ١/٢٨٤ و(بصق) ١/٢٩٥.

- «أبسقت الناقة»، و«أبصقت»، و«أبزقت»: أنزلت اللبن قبل الولادة بشهر أو أكثر فتُحلب... إلخ.

(سفق - صفق):

استعمالاتهما متداخلة؛ جاء فى اللسان - بعد سَرْد استعمالات «سَفق» -: «... والصاد فى كل ذلك لغة»[2]، وإن كان «صفق» أوفر من حيث الشواهد الشعرية والنثرية، فلعله - تأسيسًا على ذلك - يكون هو الأصل.

ومن تلك الاستعمالات المتداخلة[3]:

- «السُّفْق»، و«الصَّفْق»: الضرب الذى يُسمع له صوت.

- «أسفق» البابَ، و«أصفقه»: أغلقه.

- ثوب «سَفيق»، و«صَفيق»: متين النسج... إلخ.

ولم يرد «زفق» جذرًا فى اللسان.

(سقب - صقب):

استعمالاتهما متداخلة؛ ولذا يقول ابن فارس (ت٣٩٥هـ): «الصاد والقاف والباء لا يكاد يكون أصلاً؛ لأن الصاد يكون مرّة فيه بالسين، والبابان متداخلان: مرة يقال بالسين، ومرة بالصاد»[3]، وجاء فى اللسان - بعد سرد استعمالات «سقب» -: «... والصاد فى كل ذلك لغة»[4].

ومن تلك الاستعمالات المتداخلة:[5]

- «السُّقْب»، و«الصُّقْب»: عمود الخباء، وولد الناقة.

(١) اللسان (سفق): ٣/٢٠٣٠.
(٢) انظر: إبدال ابى الطيب ٢/١٩١، وديوان الأدب ٢/٣١٨، واللسان (سفق) ٣/٢٠٣٠، (وصفق) ٤/٢٤٦٣-٢٤٦٦.
(٣) المقاييس (صقب): ٣/٢٩٦.
(٤) اللسان (سقب) ٣/٢٠٣٦.
(٥) انظر: إبدال ابى الطيب ٣/١٨٠-١٨١، وديوان الأدب ١/٩٤، واللسان (سقب) ٣/٢٠٣٥-٢٠٣٦، و(صقب) ٤/٢٤٦٩.

Scanned with CamScanner

مصادر البحث

• د. إبراهيم أنيس:

- الأصوات اللغوية : مكتبة الأنجلو - القاهرة ١٩٧١.

- فى اللهجات العربية: مكتبة الأنجلو - القاهرة (الطبعة الخامسة).

- من أسرار اللغة: مكتبة الأنجلو - القاهرة ١٩٧٨.

• ابن الأثير (المبارك بن محمد):

- النهاية فى غريب الحديث والأثر: تحقيق د. محمود الطناحى وطاهر الزاوى، المكتبة الإسلامية (دون تاريخ).

• د. أحمد علم الدين الجندى:

- اللهجات العربية فى التراث: الدار العربية للكتاب ١٩٩٣م.

• د. أحمد مختار عمر:

- دراسة الصوت اللغوى، عالم الكتب - القاهرة ١٩٩٠م.

- علم الدلالة: عالم الكتب - القاهرة ١٩٨٨م.

• الأزهرى (أبو منصور محمد بن أحمد):

- تهذيب اللغة: تحقيق مجموعة من الأساتذة، الدار المصرية للتاليف والترجمة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

• د. إسماعيل أحمد عمايرة:

- نظرات فى التطور الصوتى للعربية: حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب - العدد ٣٥ / ١٩٩٤م.

• أبو الأسود الدؤلى (ظالم بن عمرو):

- ديوانه: تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة - بغداد ١٣٨٤هـ - ١٩٦٦م.

• ابن الباذش (أبو جعفر أحمد بن على):

- الإقناع فى القراءات السبع، تحقيق د. عبد المجيد قطامش، مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى - جامعة أم القرى ١٤٠٣هـ.

• باى، ماريو:

- أسس علم اللغة: ترجمة د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب - القاهرة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

• برجشتراسر:

- التطور النحوى للغة العربية: أخرجه وصححه وعلق عليه د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجى - القاهرة ١٩٨٢م.

• أبو البركات ابن الأنبارى (عبد الرحمن بن محمد):

- أسرار العربية: تحقيق محمد بهجة البيطار، المجمع العلمى العربى بدمشق ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.

• بروكلمان، كارل:

- فقه اللغات السامية: ترجمة د. رمضان عبد التواب، جامعة الرياض ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

• البلوى (أبو الحجاج يوسف بن محمد):

- ألف باء: عالم الكتب - بيروت (مصورة عن طبعة المطبعة الوهبية بمصر ١٣٧٨هـ).

Scanned with CamScanner

• شهاب الدين القسطلانى (أبو العباس أحمد بن محمد):

- لطائف الإشارات لفنون القراءات: تحقيق الشيخ عامر عثمان و د. عبد الصبور شاهين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: مصر ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

• د. ضاحى عبد الباقى:

- لغة تميم: دراسة وصفية تاريخية، مجمع اللغة العربية بمصر ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

• د. الطيب البكوش:

- النظريات الصوتية فى كتاب سيبويه: حوليات الجامعة التونسية - كلية الآداب - العدد رقم ١١/١٩٧٤م.

• د. عبد العزيز مطر:

- الأصالة العربية فى لهجات الخليج: عالم الكتب - الرياض ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

- خصائص اللهجة الكويتية: دراسة لغوية ميدانية، جامعة الكويت ١٩٦٩م.

- دراسة صوتية فى لهجة البحرين: مطبعة جامعة عين شمس - القاهرة ١٩٨٠م.

• د. عبد الله بوخلخال:

- ظاهرة الإبدال عند اللغويين والنحاة العرب: مجلة الآداب - جامعة قسنطينة، العدد رقم ٣/١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

• د. عبد المجيد عابدين:

- من أصول اللهجات العربية فى السودان: مكتبة غريب - القاهرة ١٩٦٦م.

• د. عبد المنعم سيد عبد العال:

- لهجة شمال المغرب (تطوان وما حولها)، دار الكتب العربى - القاهرة ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

• د. عبده الراجحى:

- اللهجات العربية فى القراءات القرآنية: دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ١٩٩٥م.

• أبو عبيد (القاسم بن سلام):

- الغريب المصنَّف: تحقيق د. محمد المختار العبيدى، المجمع التونسى للعلوم والآداب والفنون ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

• ابن عصفور (أبو الحسن على بن مؤمن):

- الممتع فى التصريف: تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار المعرفة - بيروت ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

• ابن عطية الأندلسى (أبو محمد عبد الله):

- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، تحقيق السيد عبد العال إبراهيم، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية - قطر ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

• ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله):

- المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق د. محمد كامل بركات، مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى - جامعة أم القرى ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

• العكبرى (أبو البقاء عبد الله بن الحسين):

- المُشرف المُعلَّم فى ترتيب الإصلاح على حروف المعجم: تحقيق ياسين محمد السواس، مركز البحث الإسلامى وإحياء التراث الإسلامى - جامعة أم القرى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

Scanned with CamScanner

مطرد أو شبه مطرد - تأثير القاف فى مجاوراتها، بسبب من اتصافها بصفة التفخيم مصحوبةً بالجهر، أو بالهمس.

ولعلّ أوضح مَجْلًى لهذا التأثير هو ما يصادفنا فى كتب اللغة - وعلى رأسها كتب الإبدال والمعاجم والفصول المخصصة لدراسة أصوات العربية - من تلك الصور النطقية Allophones المتعددة لاستعمالات بعض الجذور المشتملة على أحد الأصوات الصفيرية Sibilants (س - ص - ز) متلوةً - مباشرة أو بفاصل - بالقاف.

ففى هذا الصدد، نصادف مجموعات ثلاثية - أو ثنائية - تتميَّز بما يلى:

- اشتمال كل منها على صوت القاف مسبوقًا بصوت صفيرىّ، ومتلوًا - أو مسبوقًا - بصوت ثالث غير محدَّد.

- اتفاق كل «مجموعة» منها فى المعنى اتفاقًا تامًّا.

وذلك مثل: «السَّقْر» و«الصقر» و«الزقر»، ومثل: «السُّقْع» و«الصُّقْع» - بمعنى الناحية - وغيرها ما سيُعرض له بالتفصيل لاحقًا.

ويشير القدماء - هنا - إلى وجود خصيصتين لهجيتين تعامليتين (مطردتين) تتعلقان بهذا الشأن:

الأول: إبدال السين صادًا إذا وقعت قبل القاف - وسائر الأصوات المستعلية - سواء أكان ثمة فاصل، أم لم يكن.

الثانية: إبدال السين زايًا قبل القاف خاصة.

* * *

٢ - أ - (إبدال) السين صادًا قبل القاف ...

ورد هذا المسلك «التعاملى» فى كتب القدماء: منسوبًا تارة لبنى العَنْبر - من بنى تميم[١] وتارة أخرى دون نسبة، وكأنه مسلك صوتى «تعاملى» عامّ لا تختص به لهجة دون أخرى[٢].

فممن نسب ذلك إلى بنى العنبر - وهو الرأى الراجح[٣]: سيبويه (ت ١٨٠هـ)، حيث عقد فى كتابه بابًا بعنوان: «هذا باب ما تُقلَب فيه السين صادًا فى بعض اللغات»، جاء فيه: «تقلبها (أى تَقلب السينَ) القافُ إذا كانت بعدها فى كلمة واحدة، وذلك نحو: صُقْت وصبقت ... والخاء والغين بمنزلة القاف ... وإنما يقولها من العرب بنو العنبر»[٤] ويقول أبو حيان الأندلسىّ (ت ٧٤٥هـ): «وتُبدل الصاد من السين جوازًا على لغة بنى العنبر، إنْ وليها غينٌ، أو خاء، أو قاف، أو طاء، تقول فى: سَغَبَ، وسخَّر، وسَقَر، وسَطَع: صَغَب، وصَخَّر، وصَقَر، وصَطَع. فإن فصل حرف نحو: أسبغ، أو حرفان نحو: السِّراط، أو ثلاثة نحو: مساليخ، فكذلك؛ تقول: أصْبَغ، والصراط، ومصاليخ»[٥].

وممن أورد هذا المسلك الصوتى التعاملى دون تخصيص لهجىّ: المبرِّد[٦] (ت ٢٨٥هـ)، وابن السَّراج[٧] (ت ٣١٦هـ)، وابن جنى[٨] (ت ٣٩٢هـ)، وابن السِّيد البَطَلْيَوْسِى[٩] (ت ٥٢١هـ)، وابن عصفور[١٠] (ت ٦٦٩هـ)، والرضى

---

(١) وانظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص٢٠٧ - ٢٠٩.

(٢) وانظر: ليتمان: بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى ص١٧، ودروس فى علم أصوات العربية ص٧٣، ود. أنيس: فى اللهجات العربية ص١٢٨، وغالب المطلبى: لهجة تميم وأثرها فى العربية الموحدة ص٩٢، ود. ضاحى عبد الباقى: لغة تميم: دراسة وصفية تاريخية ص١٥٢ - ١٥٣.

(٣) انظر: لغة تميم ص١٥٣ - ١٥٤، ولهجة تميم ص٩٢.

(٤) الكتاب ٤/٤٧٩ - ٤٨٠.

(٥) ارتشاف الضَّرَب ١/٣٢٤ - ٣٢٥. وانظر - كذلك - المساعد على تسهيل الفوائد ٤/٢٢٦.

(٦) انظر: المقتضب: ١/٣٦٠ - ٣٦١.

(٧) انظر: الأصول فى النحو ٣/٤٣١.

(٨) انظر: سر الصناعة ١/٢١١ - ٢١٢، و٢/١٤٢ - ١٤٣.

(٩) انظر: ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة ص٣٣٨ - ٣٣٩.

(١٠) انظر: الممتع: ١/٤١٠ - ٤١١.

Scanned with CamScanner

الاستراباذى[1] (ت٦٨٦هـ)، والسُّلسيلى[2] (ت٧٧٠هـ). يقول ابن جنى - مثلاً:
«وإذا كان بعد السين غين، أو خاء، أو قاف، أو طاء، جاز قلبُها صاداً»[3].

وتقتضى هذه الخصيصة الصوتية التعاملية - حسب ما سبق - أن تكون السين هى الأصل فى الاستعمال، ثم تُبدل إلى صاد جوازاً، إذا وقعتْ قبل أحد الأصوات المستعلية: إما فى لهجة بنى العنبر خاصة - على ما هو الراجح - أو العرب عامة. بيد أن ثمة رأياً يُسوِّى فى ذلك بين أن تكون السين هى الأصل، فتُنطق صاداً، أو أن تكون الصاد هى الأصل، فتنطق سيناً؛ يقول الفارابى (ت٣٥٠هـ) - مثلاً -:
«السُّقْر: لغة فى الصقر، وكذلك يفعلون فى الحرف إذا كانت فيه الصاد مع القاف»[4].

* * *

٢-ب- (إبدال) السين (والصاد) زايًا قبل القاف:

وردتْ تلك الخصيصةُ منسوبةً إلى قبلية «كلب» - إحدى قبائل قضاعة الكبيرة[5] تارة، وتارة أخرى غير منسوبة، وكأنها مسلك عام:

فممن نسَبها: ابن جنى (ت٣٩٢هـ)، وذلك فى قوله: «وكَلْب تقلب السين قبل القاف خاصة زايًا، فيقولون فى سَقْر: زَقْر، وفى (مسٌّ سَقَر): (مسٌّ زَقَر)، وشاة زَقْعاء فى صَقْعاء»[6]. وكذلك صنَع ابن يعيش[7] (ت٦٤٣هـ)، والرضى الاستراباذى[8] (ت٦٨٦هـ)، وأبو حيان الأندلسى[9] (ت٧٥٤هـ).

(١) انظر: شرح الشافية: ٣/٢٣٠-٢٣١.
(٢) انظر: شفاء العليل فى إيضاح التسهيل ٣/١١٢.
(٣) سر الصناعة ١/٢١١-٢١٢.
(٤) ديوان الأدب ١/١٠٨. وانظر - كذلك - المزهر ١/٤٧٣.
(٥) وانظر: جمهرة أنساب العرب ص٤٥٥-٤٥٩.
(٦) سر الصناعة ١/١٩٦. والآية المذكورة فى النص هى من سورة القمر ٥٤/٤٨.
(٧) انظر: شرح المفصل: ١٠/٥٢.
(٨) انظر: شرح الشافية: ٣/٢٣٣.
(٩) انظر: ارتشاف الضَّرَب: ١/٣٥٢.

وبشير المثال الأخير الذى أورده ابن جنى (صَقْعَاء - زَقْعاء) إلى انسحاب خصيصة القلب إلى زاى قبل القاف على الصاد أيضًا - فضلاً عن السين - وقد صرَّح ابن عصفور بذلك نصًّا[1].

وفى مقابل ذلك التنسيب، نجد مَنْ يعرض لتلك الخصيصة دون قَصْرها على لهجة بعينها؛ يقول أبو عبيد (ت٢٢٤هـ) - فيما نقله عنه السيوطى (ت٩١١هـ):
«تدخل الزاى على السين، وربما دخلتْ على الصاد أيضًا؛ إذا كان فى الاسم طاء أو غين أو قاف... نحو: الصندوق والسندوق الزندوق»[2].

ونخلص مما سبق من كلام قدامانا عن هاتين الخصيصتين الصوتيتين التعامليتين - نخلُص إلى شيوع وقوع التبادل بين الأصوات الصفيرية حين تقع قبل الأصوات المستعلية - ومنها القاف - وإن اشتُهرتْ بعض اللهجات بإيثار صوت صفيرىّ خاص دون غيره. يقول الزمخشرىّ (ت٥٣٨هـ): «قوله: (وهو الصقر) بالصاد، والعامة تقول بالسين، وذلك لغة، والزاى لغة ثالثة، وكذلك كل صاد بعدها قاف أو طاء أو غين أو دال، فإن لغات لعرب تختلف فيها»[3].

* * *

٢-جـ- التفسير الصوتى:

يمكننا - بعد - تفسير الخصيصتين الصوتيتين التعامليتين السابقتين فى ضوء (قانون) المماثلة الصوتية[4] assimilation، تأسيسًا على اتصاف القاف بصفة التفخيم (الجزئى) مع الجهر، أو الهمس كما مرّ:

(١) انظر: الممتع ١/٤١٢. وانظر: د. أحمد علم الدين الجندى: اللهجات العربية فى التراث ٢/٤٤٩.
(٢) المزهر: ١/٤٧٤. وقد نقل السيوطى هذا النصّ عن كتاب الغريب المصنَّف لابى عبيد، وقد راجعت هذا الكتاب فلم أعثر على النص فى مظانه.
(٣) الزمخشرى: شرح الفصيح ٢/٦٩٣. والضمير فى قوله: «وقوله...» يعود إلى ثعلب فى «فصيحة». وانظر - كذلك - ابن درستويه: تصحيح الفصيح وشرحه ص٥٠٨. ونلاحظ - بعد - ان الزمخشرى قد ذكر الدال أيضًا مع أصوات القاف والغين والطاء، والدال ليست مستعلية.
(٤) تُعرَّف المماثلة الصوتية بأنها «عملية تغير الصوت إلى صوت آخر بسبب تأثير صوت مجاور». = A course in Phonetics, P.98.

Scanned with CamScanner

• د. على حسين البواب:

- ظاهرة الإبدال اللغوى: دراسة وصفية تاريخية، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

• أبو على القالى (إسماعيل بن القاسم):

- كتاب الأمالى: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م.

• أبو عمرو الدانى (عثمان بن سعيد):

- التحديد فى الإتقان والتسديد فى صنعة التجويد، تحقيق د. أحمد عبد التواب الفيومى، مكتبة وهبة - القاهرة ١٩٩٣م.

• د. عيد محمد الطيب:

- لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر: المطبعة الإسلامية الحديثة - القاهرة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

• غالب فاضل المطلبى:

- لهجة تميم وأثرها فى العربية الموحدة: وزارة الثقافة والفنون - العراق ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

• الفارابى (أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم):

- ديوان الأدب: تحقيق د. أحمد مختار عمر، مجمع اللغة العربية بمصر ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

• ابن فارس (أبو الحسين أحمد):

- الصاحبى: تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابى الحلبى، القاهرة ١٩٧٧م.

- مقاييس اللغة: تحقيق الشيخ عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ١٣٦٦هـ.

• د. فالح حنظل:

- معجم الألفاظ العامية: فى دولة الإمارات العربية المتحدة، وزارة الإعلام والثقافة - دولة الإمارات ١٩٩٨م.

• الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد):

- معانى القرآن: تحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شلبى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م.

• القرطبى (أبو عبد الله محمد بن أحمد):

- الجامع لأحكام القرآن: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م.

• كانتينو، جان:

- دروس فى علم أصوات العربية: ترجمة د. صالح القرمادى، الجامعة التونسية ١٩٦٦م.

• الكسائى (أبو الحسن على بن حمزة):

- ما تلحن فيه العامة: تحقيق د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجى - القاهرة ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م.

• د. كمال بشر:

- علم الأصوات: دار غريب - القاهرة ٢٠٠٠م.

• ليتمان، إنو:

- بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى: مجلة كلية الآداب - جامعة فؤاد الأول (القاهرة)، المجلد العاشر - الجزء الأول ١٩٤٨م.

Scanned with CamScanner

٣. تأثير القاف فى مجاوراتها

يتبيَّن من دراسة بعض الاستعمالات اللغوية التى اشتملتْ - فيما اشتملتْ على صوت القاف، وتنوعت الصور النطقية للأصوات المجاورة لها - يتبين أن للقاف التأثير الأساسّى فى تحقُّق هذه الصور النطقية. ويتبيَّن - كذلك - أن مناط هذا التأثير مؤسَّس - فى المقام الأول - على اتصال القاف بصفة التفخيم مع الجهر، أو مع الهمس.

فأمّا الجهر والهمس، فقد سبق أن ذكرتُ أن القاف البدوية الشائعة تتصف بالجهر، فى حين تتصف القاف التميمة الأقلّ شيوعًا بالهمس، وقد رجحتُ أن هذه الأخيرة هى نفسها قاف القراء المعاصرة[١].

وأما التفخيم[٢]، فقد عدّ ابن الجَزَرى (ت٨٣٣هـ) الأصوات المستعلية - ومنها القاف - هى الأصوات المفخّمة فى العربية؛ فقال: «والاستعلاء من صفات القوة، وهى (أى: حروف الاستعلاء) سبعة، يجمعها قولُك: قظْ خص ضغط، وهى حروف التفخيم على الصواب... وقيل: حروف التفخيم هى حروف الإطباق، ولا شك أنها أقواها تفخيمًا»[٣].

ويتفق المحدثون - مع القدامى - فى تقرير أن لصوت القاف «قيمة تفخيمية»، بيد أن المحدثين يصنفونه - وكذلك الخاء والغين - فى زمرة الأصوات المفخَّمة «تفخيمًا

(١) انظر الحديث المفصل عن ذلك فى المبحث الأول لدى الحديث عن كلٍّ من القاف البدوية، وقاف القراء.

(٢) يُعرَّف التفخيم بانه «نطق الحرف سمينًا او غليظًا يمتلىء الفم بصداه». المختصر فى أصوات اللغة العربية ص٢٢٧.

(٣) النشر فى القراءات العشر ١/٢٠٢-٢٠٣. وانظر - كذلك - لطائف الإشارات ١/١٩٨. وانظر فى تفصيل القول فى المواضع التى تحكم درجة تفخيم جملة هذه الأصوات: التمهيد فى علم التجويد ص١١٩-١٢٠، وانظر فى التعليق على كلام القدماء فى هذا الصدد: مناهج البحث فى اللغة ص١٨٧.

جزئيًا»، وذلك فى مقابل الأصوات الكاملة التفخيم (ص - ض - ط - ظ)، وتلك التى تتراوح بين التفخيم والترقيق حسب قيود موقعية صوتية (ر - ل)[١].

وتفسير ذلك هو أن «التفخيم الكامل» يسبِّبه ارتفاعُ مؤخَّر اللسان تجاه مؤخَّر الحنك اللين، مع تراجع مؤخَّر اللسان - كذلك - إلى الخلف نحو الحلق؛ فهذه الحركات العضوية «تغيّر من شكل حجرات الرنين بالقدر الذى يعطى الصوت هذه القيمة التفخيمية»[٢]. وأما لدى نطق القاف فإن النقطة التى يقترب فيها مؤخَّر اللسان من الجدر الخلفى للحلق تكون فوق تلك التى يحدث عندها الاقتراب لدى نطق الأصوات الكاملة التفخيم؛ ولذا فإن القاف تُفخَّم، ولكنه تفخيم جزئى، فى مقابل التفخيم الكامل لأصوات الصاد والضاد والطاء والظاء[٣].

وقد سبق أن أوردت - آنفًا - كلام ابن الجَزَرى عن أن الأصوات المطبقة (ص، ض، ط، ظ) أكثر تفخيمًا من تلك المستعلية فقط (خ - غ - ق)، بما يتطابق - تقريبًا - مع كلام المحدثين.

ولا يُلتفت - هاهنا - إلى وجود تباين - فى صفتى الجهر / الهمس - بين القاف المجهورة التى وصفها القدماء (= القاف البدوية الشائعة)، وتلك المهموسة التى يتحدث بشأن تفخيمها المحدثون (= قاف القراء = القاف التميمية)؛ إذ المعوَّل عليه - هنا - هو كيفية النطق (ارتفاع مؤخَّر اللسان تجاه اللهاة أو مؤخَّر الحنك اللين...)؛ فهى السبب - لاصفة الجهر أو الهمس - فى إحداث التفخيم، وهذه الكيفية واحدة - تقريبًا - فى نطق القافين، على ما بُيِّن فى المبحث الأوّل.

ونستطيع - بعد - أن نقف على شطر من الأمثلة التى يتجلى فيها - على نحو

(١) انظر: دراسة الصوت اللغوى ص٣٢٥-٣٢٦، ود. الخولى: الأصوات اللغوية ص٢١٥-٢١٦. وانظر - كذلك: دروس فى علم أصوات العربية ص١٠٧.

(٢) مناهج البحث فى اللغة ص١١٦. والنظر - كذلك - د. الخولى: الأصوات اللغوية ص٢١٤.

(٣) انظر: مناهج البحث فى اللغة ص١٢٤-١٢٥.

Scanned with CamScanner

• **الزمخشري: (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر)؛**

- شرح الفصيح: تحقيق د. إبراهيم الغامدي، معهد البحوث الإسلامية والتراث الإسلامي - مكة المكرمة ١٤١٧هـ.

- الكشّاف عن حقائق التنزيل: دار المعرفة - بيروت (دون تاريخ).

• **ساجقلي زاده (الشيخ محمد المرعشي)؛**

- جهد المُقِلّ في تجويد القرآن العظيم: تحقيق د. أبو السعود الفخراني ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م (طبعة خاصة).

• **ابن السراج (أبو بكر محمد بن السَّرِيّ)؛**

- الأصول في النحو: تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- رسالة الاشتقاق: تحقيق محمد علي الدرويش ومصطفى الحدري، دار مجلة الثقافة - دمشق ١٩٧٣م.

• **د. سعد مصلوح؛**

- دراسة السمع والكلام: عالم الكتب - القاهرة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

• **ابن السكيت (أبو يوسف يعقوب بن إسحاق)؛**

- إصلاح المنطق: تحقيق الشيخين: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف - مصر (الطبعة الثالثة).

- كتاب الإبدال: تحقيق د. حسين محمد شرف، مجمع اللغة العربية بمصر ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

• **السهيلي (أبو عبد الله محمد بن عيسى)؛**

- شفاء العليل في إيضاح التسهيل: تحقيق د. الشويف البركاتي، المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

• **السمين الحلبي (أحمد بن يوسف)؛**

- الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون: تحقيق د. أحمد محمد الخرّاط، دار القلم - دمشق ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

• **سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)؛**

- الكتاب: تحقيق الشيخ عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

• **ابن السيّد البَطَلْيَوسي (أبو محمد عبد الله)؛**

- ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة: تحقيق د. حمزة النشرتي، دار المريخ للنشر ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

• **ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل)؛**

- المحكم والمحيط الأعظم: طبعة معهد المخطوطات العربية.

- المخصص: المكتب التجاري للطباعة والنشر - بيروت (دون تاريخ).

• **السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)؛**

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ١٩٥٨م.

• **شاده؛**

- علم الأصوات عند سيبويه وعندنا: صحيفة الجامعة المصرية - العدد الخامس ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م.

• **شريفة المعتوق؛**

- لهجة العجمان في الكويت: دراسة لغوية، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربي - الدوحة ١٩٨٦م.

Scanned with CamScanner

• أبو حيان الأندلسى (محمد بن يوسف):

- تفسير البحر المحيط: دار الفكر - بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب: تحقيق د. رجب عثمان، مكتبة الخانجى - القاهرة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨.

• ابن خالويه (أبو عبد الله الحسين بن أحمد):

- مختصر فى شواذ القرآن: عنى بنشره برجشتراسر، مكتبة المتنبى - القاهرة (دون تاريخ).

• الخطيب التبريزى (أبو زكريا يحيى بن على):

- تهذيب إصلاح المنطق: تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة - بيروت ١٤٠٣ - ١٩٨٣م.

• ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد):

- مقدمته: تحقيق د. على عبد الواحد وافى، دار نهضة مصر - القاهرة (الطبعة الثالثة).

• الخليل بن أحمد الفراهيدى:

- كتاب العين: تحقيق د. مهدى المخزومى ود. إبراهيم السامرائى، دار الرشيد - العراق ١٩٨١م.

• ابن دُرُسْتُويه (أبو محمد عبد الله بن جعفر):

- تصحيح الفصيح وشرحه: تحقيق د. محمد بدوى المختون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

• ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن):

- جمهرة اللغة: تحقيق د. رمزى منير بعلبكى، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٧م.

• الراغب الأصفهانى (الحسين بن محمد):

- مفردات ألفاظ القرآن: تحقيق صفوان عدنان داودى، دار القلم - دمشق ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

• الرضى الاستراباذى (محمد بن الحسن):

- شرح شافية ابن الحاجب: تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد، ومحمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

• د. رمضان عبد التواب:

- بحوث ومقالات فى اللغة: مكتبة الخانجى - القاهرة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- التطور اللغوى: مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجى - القاهرة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى: مكتبة الخانجى - القاهرة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

• الزبيدى (محمد مرتضى):

- تاج العروس: (طبعة الكويت وطبعة بولاق).

• الزجّاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِىّ):

- معانى القرآن وإعرابه، تحقيق د. عبد الجليل شلبى، عالم الكتب - بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

• الزجّاجى (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق):

- الإبدال والمعاقبة والنظائر: تحقيق عز الدين التنوخى، دار صادر - بيروت ١٩٩٣م.

Scanned with CamScanner

- قلّة حجم، كما فى قولهم: «قُتْرة الصائد» لجُحْره الضيّق الذى يستتر فيه للصيد، وكما فى قولهم: «القاتر» لأصغر السروج الذى لا يستقدم ولا يستأخر على ظهر البعير[1].

- أو قلّة مسافة، كما فى قولهم: «قَتَر متاعَه»: إذا أدنى بعضَه من بعض[2].

فمن ذلك، اشتُقّ قولهم: «أقتَر على عياله» إذا ضيّق عليهم (= قلّل مقدار النَّفقة).

(قزع-مزع):

قال أبو الطيب: «ويقال مرّ الفرسُ يقزَع قزْعًا، ويمزَع مزْعًا: إذا مرّ مرًّا سريعًا»[3].

فالدلالة على «المرّ السريع» أصيلة فى استعمالات كلٍ من الجذرين (قزع-مزع) مع اختلاف الصورة، أو فى الوجه الاشتقاقى المُعتبَر:

- ففى «قزع»، تتمثل صورة المرّ السريع فى العدو الذى يُشبه «الطَّفْر»، وهذه هى دلالة الاستعمال المذكور فى نَصّ أبى الطيب[4] ومن ذلك أيضًا قولهم:

- «القَزَع»: السحاب المتفرّق.

- «قزّع رأسَه»: حلَقه، وترك فى مواضع منه الشعر متفرّقًا[5].

فـ«الطَّفْر» يتمثّل - هاهنا - فى عدم الاطّراد: قطعة من السحاب هنا وأخرى هناك، وقُزعة من الشعر فى جانب من الرأس، وأخرى فى جانب آخر.

- وفى «مزع» دلالة - كذلك - على المرّ السريع، كما فى نصّ أبى الطيب[6] ووجه اشتقاق ذلك من دلالة استعمالات الجذر على «الانفصال والتسيّب»، كما فى قولهم:

(١) انظر: المقاييس (قتر) ٥/٥٥، واللسان (قتر) ٥/٣٥٢٦.
(٢) انظر: اللسان (قتر) ٥/٣٥٢٦.
(٣) الإبدال: ٢/٣٦٨.
(٤) وانظر: المقاييس (قزع) ٥/٨٤، واللسان (قزع) ٥/٣٦٢١.
(٥) انظر: اللسان (قزع): ٥/٣٦٢١
(٦) وانظر: اللسان (مزع): ٦/٤٩١٣.

- «مزّع القطن»: نَفَشه[1] (فَصَل بعضَه عن بعض وخفّف كثافته).

- «مزّع اللحم»: فرّقه[2].

فمن هذا «الانفصال والتسيب» جاءت الدلالة على «المرّ السريع» للفرس (انطلاق واسترسال وخِفّة فى العَدْو).

(نشب-نشق):

قال أبو الطيب: «اللِّحْيانى: يقال نَشِبَ فى حِباله ينشَب، ونَشِق فى حباله ينشَق، بمعنى واحد»[3].

فهذه الدلالة المشتركة أصيلة فى استعمالات كلٍ من الجذرين (نشب-نشق):

• ففى «نشب»، نجد دلالة على «الاشتباك وعدم التخلص»، كما فى الاستعمال المذكور، وكما فى قولهم:

- «النَّشَب» للمال الأصيل من الناطق والصامت[4] (ثابت لا يكاد ينتقل).

• وفى «نشق»، نجد دلالة على «الدخول مع تغلغل»، كما فى الاستعمال المذكور فى نص أبى الطيب، وكما فى قولهم:

- «النُّشْقة» للحلقة تُشَدّ بها الغنم.

- و«النُّشوق» للدواء - ونحوه - يُصَبّ فى الأنف[5] (= يتغلغل فيه).

فمن اعتبار «الاشتباك وعدم الخلوص» فى «نشب»، واعتبار «الدخول مع تغلغل» فى نشق» تأتّى الاستعمال المذكور فى نص أبى الطيب (نَشِبَ فى الحِبَالة ونَشِقَ):

•••

(١) وانظر: اللسان (مزع): ٦/٤٩١٣.
(٢) انظر: المقاييس (مزع) ٥/٣١٨، واللسان (مزع) ٦/٤٩١٣.
(٣) الإبدال ١/٣٠.
(٤) انظر: اللسان (نشب) ٦/٤٤٢٠.
(٥) انظر: اللسان (نشق) ٦/٤٤٣١-٤٤٣٢.

Scanned with CamScanner

تمهيد

أ. صفات الأصوات

تتمايز الأصوات اللغوية - بعضها عن بعض - بتنوع المخارج التى تنتج منها (شفوية - لثوية - لهوية...). وتتباين - كذلك - باستئثار كلٍّ منها بمجموعة من «الصفات» أو الملامح التمييزية distinctive Features، كالجهر والهمس، والشدّة والرخاوة، وغيرها.

ولهذه الصفات - أو الملامح التمييزية - أهميتها المعتبرة؛ إذ أنها - فى جانب منها - مناط التفريق بين الأصوات ذات المخارج الواحدة - أو المتقاربة - كالتاء والدال، والسين والصاد مثلاً. يقول مكّى بن أبى طالب القيسى، (ت٤٣٧هـ): «فالحروف تكون من مخرج واحد، وتختلف صفاتُها، فيختلف لذلك ما يقع فى السمع من كل حرف»[1]. ويقول شهاب الدين القَسْطَلانى (ت٩٢٣هـ): «وفائدتها (أى: الصفات) تمييز الحروف المتشاركة فى المخرج؛ إذ لولاها لا تُحدث»[2].

ويمكن النظر إلى هذه الصفات من ثلاثة اعتبارات رئيسية[3]:

- طريقة النطق menner of articulation (شدة / رخاوة..).
- حالة الوترين الصوتيين vocal cords لدى النطق بالصوت (جهر / همس...).
- مشاركة مؤخّرة اللسان - منفرداً أو مع طرفه - فى إنتاج الصوت (استعلاء / إطباق...).

فأما الاعتبار الأول (= طريقة النطق)، فيصنّف المحدثون - على أساسه - الأصوات اللغوية إلى ثلاثة أنواع أساسية:

(١) مكى بن أبى طالب القيسى: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ص٥٦.

(٢) شهاب الدين القسطلانى: لطائف الإشارات لفنون القراءات ١/١٩٦.

(٣) انظر: د. تمام حسان: مناهج البحث فى اللغة ص١١٢، وانظر - كذلك -:

- Hawkins: Introducing phonology, P.74.

١. الأصوات الوقفية[1] Stops، وهى تلك الأصوات التى «تنتج عن طريق الإيقاف الكامل لمجرى الهواء - بشكل ما - لمدّة وجيزة جدًّا، ثم إطلاقه فجأة»[2]. فإنتاج الصوت «الوقفى» - إذن - يحدث كما يلى[3]:

- التقاء عضوين من أعضاء النطق التقاءً محكمًا.
- احتباس الهواء خلف نقطة التقائهما.
- انفصال العضوين فجأة، وانطلاق الهواء؛ فينتج الصوت.

وتتعدّد الوسائل - وكذا المواضع - التى يحصل بها - أو عندها - هذا الإيقاف الكامل لمجرى الهواء كانطباق الشفتين، أو التقاء مقدَّم اللسان بلثة الثنايا العليا، أو غير ذلك.

والأصوات الوقفية فى العربية المعاصرة - كما تتجسَّم فى نطق قرّاء القرآن الكريم - هى: الهمزة، والباء، والتاء، والدال، والطاء، والضاد، والكاف، والقاف[4].

٢. الأصوات الاحتكاكية[5] **Fricative**، وهى «تلك الأصوات التى تنتج حين

(١) تسمى كذلك بالانفجارية Plosive على اساس ان الهواء «المحبوس» فى الفم «ينفجر» حين يُفحص المُعترض، انظر:

- O'conner: Phonetics, P.47,
- Fromkin: An introduction to language, P.193.

وانظر - كذلك -: د. السعران: علم اللغة: مقدمة للقارئ العربى ص١٥٣، ود. بشر: علم الأصوات ص١٩٧، ود. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوى ص١١٧، ود. الحولى: الأصوات اللغوية ص٣٧.

(2) Yale: The study of language, P.39

وانظر - كذلك -: Phonetics, P.47.

(٣) انظر: مناهج البحث فى اللغة ص١١٢، وعلم اللغة - مقدمة ص١٥٣.

وانظر - كذلك -: - Al - ani, Arabic phonology, P.31.

(٤) وانظر: د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٢٣، وعلم الأصوات ص١٩٧.

(٥) وتسمى كذلك بالاستمرارية continuant

انظر: Carr: Phonology, P.56.

وانظر - كذلك -: دراسة الصوت اللغوى ص١١٨.

Scanned with CamScanner

«العلماء تحريفا، أو خطأ؛ إنّما هو ناتج عن اتّهام بعض العلماء غيرهم بالخطأ،

خسف [1].

محمّد يعقوب تركستاني أنّه يمكننا الاطمئنان إلى الظّواهر اللّغويّة مـا دام يُـنصُّ

، و تُساق لها الشّواهد ، و الإبدال يُعَدُّ من أهمّ الظّواهر اللّغويّة؛ التي عُني بها اللّغويّـون

رمن التّدوين ، ما كوّن بنية المعاجم الأولى [2]. في حين عدّه ابن فارس ستّة من سنن القـول،

وطريقة من طرائق الكلام عند العرب ؛حيث قال : " من سنن العرب إبدال الحروف، و إقامة

بعضها مقام بعض ؛يقولون: مدحه و مدهه، ويقولون: فرس رفل و رفن،وهو كثير مشهور قد

ألّف فيه العلماء "[3].

ثم إنّ أهل اللّغة لم يهملوا البحث عن أحوالها، و أحوال رواتها، جرحا و تعديلا ، و فحصوا

كلّ ذلك و يُنوه ، و من طالع كتب طبقات اللّغويين و النُّحاة و جد ذلك .[4]

ثم إنّنا لو تركنا لكلّ واقعة أن تنتشر ، و تأخذ حظّها من الذّيوع والانتشار؛ لانحطّ الكلام إلى

دَرَك سمج ، و لفقدت اللّغة كثيرا من مقوّماتها ؛ يقول ابن جني : " لو كانت هذه اللّغة حَشْوا

مَكِيلا، و خَوْا مَهِيلا؛ لكثر خلافها، و تعادت أوصافها "[5].

[1] ظاهرة الإبدال اللّغوي ١١٩ .
[2] لغات طيء ١/ ١٣١ .
[3] الصّاحبي ٢٣٣ .
[4] المزهر ١/ ١٢٠ .
[5] الخصائص ١/ ٢٤٤ ، و ينظر ١/ ٢٣٨ .

الخاتمة :

لعلّ – بعد هذا التّطواف– يكون قد بَرَدَ في الكفّ أنّ الواقعة على اختلاف صورها لا يمكن أن يكون لها أثر في التّطوّر اللّغوي ؛ حيث تُعَدُّ خروجا على العرف اللّغوي نتيجة أخطاء فرديّة ، و هذه الأخطاء تبقى مع الأفراد ، و تموت بموتهم ، و القـول بأثرها كان تأثرا بما ذهبت إليه المدرسة الإنجليزيّة ؛ التي كان الأستاذان سـيس، و سويت الإنجليزيّان ، و كذلك جسبرسن الدّنمركي من أظهر ممثّليها ؛ حيث ذهبـت هذه المدرسة إلى أنّ الظّواهر الاجتماعية فرديّة المنشأ ، و تعمّم في المجتمـع بفعـل التّقليد و المحاكاة ، و اللّغة تعدُّ إحدى هذه الظّواهر الاجتماعيّة . وهو أمر لا يمكن قبوله بحال ؛ حيث إنّ مثل هذا التّنوء لا يجلب لصاحبه أتباعا ؛ بـل يجلـب لـه السُّخرية. و من ثمّ فالتغيرات اللّغويّة لا تخضع لإرادة الأفراد ، و إنّما تخلقها طبيعـة الاجتماع .

Scanned with CamScanner

قائمة المصادر و المراجع :

١. القرآن الكريم .

٢. الإبدال لأبي الطيّب عبد الواحد علي اللُّغوي الحلبي ، حقّقه و شرحه عزُّ الدّين التّنوخي ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠ م .

٣. أسس علم اللُّغة. تأليف ماريوباي ، ترجمة و تعليق د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ط٣، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧م .

٤. أشتات مجتمعات من بحوث في اللُّغة العربيَّة د. عبد محمّد الطيّب ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

٥. أصوات اللُّغة العربيَّة د. عبد الغفّار حامد هلال ، ط٢، ١٤٠٨هـ .

٦. أصوات اللُّغة واقعها و مستقبلها . د. حسام سعيد النّعيمي ، مجلّة المجمع العلمي العراقي ، ج٢ـ٣ ، المجلد ٣٨ ، بغداد ، شوال ١٤٠٧هـ / حزيران ١٩٨٧ م.

٧. الأصوات اللُّغويَّة في لهجة أهل صنعاء و صلتها بالعربيَّة الفصحى.د. عبد الغفّار حامد هلال ، مجلّة كلّيّة اللُّغة العربيَّة بجامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميَّة ، ع ٧ ، ١٣٩٧ هـ .

٨. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحويين البصريين و الكوفيين ، كمال الدّين أبو البركات عبد الرّحمن بن محمّد بن أبي سعيد الأنباري (ت ٥٧٧هـ) ١٩٨٢م.

٩. البيان و التّبيين . أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق و شرح عبد السّلام هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط٥ ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م.

١٠. تحقيق معنى بناء اللُّغة على التّوهُّم و نفي مزاعم الوهم عنه ، محمد شوقي أمين ، مجلّة مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق ، ج٢، المجلد ٥٢ ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

١١. التّربية اللُّغوية للطّفل . سرجيوسبيني ، ترجمة فوزي عيسى ، و عبد الفتّاح حسن ، مراجعة و تقديم د . كاميليا عبد الفتّاح ،دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩١م .

١٢. التّطوُّر اللُّغوي التّاريخي . د. إبراهيم السّامرائي ، دار الأندلس ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٣م .

١٣. التّطوُّر اللُّغوي ، مظاهره و علله و قوانينه . د. رمضان عبد التّوّاب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، و دار الرّفاعي بالرّياض ، ط١ ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣م .

١٤. التّوهُّم دراسة في كتاب سيبويه، د. راشد أحمد جراري، المجلّة العربيَّة للعلوم الإنسانيَّة ، العدد٦٦ ،السّنة ١٧ ، ١٩٩٩م.

١٥. الجاسوس على القاموس . أحمد بن فارس الشّدياق ، دار صادر ، بيروت ، قسطنطينة ، ١٢٩٩م .

١٦. خزانة الأدب و لبُّ لباب لسان العرب ، تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق و شرح عبد السّلام هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط٣، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٧. الخصائص . تأليف أبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمّد علي النّجار ، عالم الكتب بيروت ، ط٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

١٨. دراسات في فقه اللُّغة . د. صبحي الصّالح ، دار العلم للملايين ، ط١١ ، ١٩٨٦ م .

١٩. الدُّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون . للسّمين الحلبي ، تحقيق د. أحمد محمّد الخرّاط ، دار القلم دمشق، ط١ .

٢٠. دور الكلمة في اللُّغة ، ستيفن أولمان ، ترجمة د. كمال بشر ، مكتبة الشّباب .

٢١. ديوان سُحيم عبد بني الحسحاس ، تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمني ، الدّار القوميَّة للطّباعة و النّشر ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

٢٢. رسالة الكندي في اللُّثغة ، تحقيق محمّد حسّان الطّيّان ، مجلّة مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق ، الجزء الثّالث ، المجلّد السّتّون ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٣. رؤية لغويَّة جديدة للإبدال في الحروف الصّامتة . د عبد الغفّار حامد هلال ، جامعة الأزهر ، كلّيّة اللُّغة العربيَّة بالقاهرة ، ع ١٠ ،١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٢٤. سر صناعة الإعراب . أبو الفتح عثمان بن جني ، دراسة و تحقيق د. حسن هنداوي ، دار القلم ،دمشق ، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

Scanned with CamScanner

يتقارب عضوان من أعضاء النطق تقاربًا شديدًا بحيث يُحدث الهواءُ المارّ بينهما احتكاكًا مسموعًا "audible Friction"(١).

فليس ثمة - إذن - إيقاف كامل لتيار الهواء، كما هو الشأن فى الأصوات الوقفية، بل تضييق شديد لمنفذ مرور هذا التيار عند نقطة ما؛ مما يولّد احتكاكًا يجسّم جرْسُه أحد الأصوات الاحتكاكية(٢).

٢. **الأصوات المركّبة** Affricates، والمقصود بتركيبها هو أنها تجمع بين صفتى الانفجار والاحتكاك، فهى تنتج «حين يحصل إغلاق كامل فى الجهاز الصوتى؛ فيحتبس الهواء خلفه، ثم يحصل تسريب تدريجى لهذا الهواء المحتبس: فيبدء حصول هذا التسريب يمثل عنصر الانفجار. وأما عنصر الاحتكاك، فيتأتى من أن الانفصال الذى يعقب هذا التسريح يكون من البطء بحيث يُحدث احتكاكًا مسموعًا»(٣).

فالصوت المركّب - إذن - يبدأ وقفيًّا انفجاريًّا لينتهى احتكاكيًّا، وذلك كما هو الشأن فى الجيم العربية المعطّشة الفصيحة، وكما هو الشأن فى الصوت الأول من كلمة Child الإنجليزية(٤).

وأمّا قدامانا، فقد ميّزوا - فى هذا الصدد - بين صفتين أساسيتين، هما: «الشِّدّة» فى مقابل «الرَّخاوة»:

(١) - Crystal: A dictionary of Linguistics and phonetics, P.159
وانظر - كذلك:
- Phonetics, P.4
- Ladefoged: A course in phonetics, P.9.

(٢) وانظر فى التقسيمات الفرعية للأصوات الاحتكاكية (صفيرية...): دراسة الصوت اللغوى ص١١٨ - ١١٩، ود. الحولى: الأصوات اللغوية ص٣٧.

(٣) - A dictiоary of Linguistics and Phonetics, P.12.
وانظر - كذلك:
- A course in Phonetics, P11.
- Phonology, PP.56 - 57.

(٤) وانظر: معالم البحث فى اللغة ص١١٣، ودراسة الصوت اللغوى ص١١٩ - ١٢٠، وعلم اللغة - مقدمة ص١٦٦ - ١٦٧.

- «الشِّدّة»: وقد عرَّفها سيبويه (ت ١٨٠هـ) - وصفًا - بقوله: «ومن الحروف: الشديد، وهو الذى يمنع الصوتَ أن يَجرى فيه... وذلك أنك لو قلت: الحجّ، ثم مددت صوتَك لم يَجْرِ فيه»(١).

- «والرَّخاوة»: وقد عرَّفها سيبويه - وصفًا كذلك - بقوله: «ومنها الرِّخوة، وهى: الهاء، والحاء.. والضاد.. والسين، وذلك إذا قلتَ: الطَّسّ وانقض، وأشباه ذلك، أجريتَ فيه الصوتَ إن شئتَ»(٢).

وقد تابع سيبويه فى تعريفه لهاتين الصفتين جمهرةُ اللغويين والنحاة، وعلماء التجويد والقراءات، جامعين الأصوات الشديدة فى عبارة «أجدك قَطْبَتَ»(٣).

ويحسن الالتفاف - هنا - إلى أن «مصطلح الشدّة (عند سيبويه) ماخوذ من استعمال الشَّدّ لغويًا، بمعنى: رَبْط فم الكيس أو الوعاء؛ حتى لا يخرج منه شىء، تسُّبًا أو تبعثُرًا... وليست صفة الشِّدّة ماخوذة من الشِّدّة بمعنى القوة، كما ظنّ بعض علماء التجويد المتاخرين»(٤).

(١) الكتاب ٤/٤٣٤.
(٢) الكتاب ٤/٤٣٥.
(٣) انظر - مثلاً -: ابن السرّاج: الأصول فى النحو ٣/٤٠٢، وابن جنى: سر صناعة الإعراب ١/٦١، وأبو البركات ابن الأنبارى: أسرار العربية ص٤٢٤، وابن يعيش: شرح المفصل ١٢٩، والرضى الاستراباذى: شرح الشافعية ٣/٢٦٠، وابن عصفور: الممتع ٢/٦٧٢، وأبو حيان الأندلسى: إرتشاف الضَّرَب ١/١٧، وابن عقيل: المساعد على تسهيل الفوائد ٤/٢٤٦.
وانظر: من كتب التجويد والقراءات: الرعاية لتجويد القراءة ص١١٧، و التحديد فى الإتقان ص٢٢٦، وابن الباذش: الإقناع فى القراءات السبع ١/١٧٤ - ١٧٥، وابن الجزرى: التمهيد فى علم التجويد ص٨٧ - ٨٨، والنشر فى القراءات العشر ١/٢٠٢، ولطائف الإشارات ١/١٩٨.
ويتضح - بعد - أن الخلاف بين تحديد القدماء والمحدثين للأصوات الشديدة والرخوة يكاد ينحصر فى صوتى الجيم والضاد؛ إذ عدّ القدماء الأول شديدًا فى حين عدّه المحدثون مركّبًا، وعدّ القدماء الثانى من الأصوات الرخوة، فى حين عدّه المحدثون من الأصوات الشديدة معتبرين فى ذلك الضاد المصرية الغالبة على قراءة القرآن الكريم.
(٤) د. محمد جبل: المختصر فى أصوات اللغة العربية ص٦٧، وانظر: تاج العروس (شدّ) ٨/٢٤١، واللسان (وكى) ٦/٤٩١١.

Scanned with CamScanner

- و«بَسَرَ الدُّمَّلَ»: إذا عصره قبل أن ينقيح[1] (قبل نضجه).

• **وفى «قسر» تتمثل صورة الاستكراه فى «القهر على غير الإرادة»[2]، كما فى قولهم:**

- «قَسَره على الأمر واقتسَره»: إذا أكرهه عليه.

- و«القَسْوَرة» للعزيز يقتسر غيره، أى: يقهره[3].

(يحرف ـ يقرف):

قال أبو الطيب: «يقال: هو يحرِف لعياله حَرْفًا، ويقرِف لهم قَرْفًا، أى: يكسب»[4].

فالدلالة على «الكَسْب» أصيلة فى كلا الجذرين (حرف ـ قرف):

• **ففى «حرف»، نجد قولهم:**

- «الحِرفة».. اسم من الاحتراف، وهو الاكتساب، يقال: هو يحرِف لعياله ويحترف.. بمعنى يكتسب من هاهنا وهاهنا»[5].

- واشتقاق ذلك من «حَرْف الشىء»، وهو جانبه ونواحيته، فـ«الحِرْفِى» يكتسب - ويحصِّل - «حَرْفًا» من هنا، وآخر من هناك «يكتسب من هاهنا وهاهنا»[6] شيئًا فشيئًا.

• **وفى «قرف»، نجد قولهم:**

- «اقترف المال: اقتناه، والقِرْفَة: الكَسْب»[7].

(١) انظر: اللسان: (بسر) ١/٢٧٩.
(٢) وانظر: المقاييس (قسر) ٥/٨٨، والمفردات ص٦٧٠.
(٣) انظر: اللسان (قسر: ٥/٣٦٢٣.
(٤) الإبدال: ١/٣٠٤.
(٥) اللسان: (حرف) ٢/٨٣٩.
(٦) انظر: اللسان (حرف) ٢/٨٣٨.
(٧) اللسان (قرف) ٥/٣٦٠٠.

واشتقاق ذلك من «القَرْف» بمعنى: كَشْط قِشرة الشىء (كقشرة القرحة»[1]، فعملية «القَرْف» - هذه - تقتضى كَشْط القِشرة - وهى طبقة رقيقة - شيئًا فشيئًا؛ وكذلك: الكَسْب، يحصل - عادة - بالاحتياز شيئًا فشيئًا، كما يفعل التجار ونحوهم.

وقريب من استعمال «القَرْف» - وهو بمعنى قشر القرحة ونحوها - فى معنى الاكتساب: استعمال «الجَرح» فى المعنى نفسه[2].

(احتر ـ اقتر):

قال أبو الطيب: «ويقال: قد أَحْتَر على عياله الإنفاقَ، وأَقْتَرَ عليهم: إذا ضيَّق وقلَّل، وهو الإحتار والإقتار، وحتّر وقتّر»[3].

فهذه الدلالة المتجاذَبة أصيلة فى استعمالات كلٍ من الجذرين (حتر ـ قتر) مع اختلاف الصورة أو الاعتبار:

• **ففى «حتر»، تتمثل صورة «التضييق» فى معنى «الكف عن الامتداد واللانبساط»، المتحقق فى مجمل استعمالات الجذر، كقولهم:**

- «حَتَار الغِرْبال» لإطاره[4]، وهو حَدّه الذى يُحيط به وينُهى امتداده (يكُفّه). وكذلك الشأن فى قولهم: «حَتَار العين» لحروف أجفانها التى تلتقى عند التغميض، و«حَتَار الأذن» لكِفاف حروف غراضيفها.

- ومن ذلك، اشتُقّ الاستعمال المذكور فى نصّ أبى الطيب: أَحْتَر على عياله، أى: ضيّق عليهم، ولم «يتوسّع» فى الإنفاق.

• **وفى «قتر» تضييق ممثل فى ملمح «القلة»، المتحقق فى كثير من استعمالات الجذر:**

(١) انظر: اللسان (قرف) ٥/٣٥٩٩ - ٣٦٠٠.
(٢) الإبدال: ١/٣٠٥.
(٣) انظر: اللسان (جرح) ١/٥٨٧.
(٤) انظر: اللسان (حتر) ٢/٧٦٩.

Scanned with CamScanner

و عدت وجه التصحيف من عوامل التطور اللغوي ، يقول د. إبراهيم أنيس : " لا يبعد أنّ بعض تلك الكلمات؛ التي أُلحقت في مسائل الإبدال ليست في الحقيقة إلا وليدة التصحيف، أو التحريف "[1]، مقرّرا أنّ ذلك لم يكن مقصورا على الألفاظ اللُّغوية ، بل تجاوزها إلى بعض القراءات ، و أنّ الحكم بصفة قاطعة على وقوع التّصحيف في كلمة بعينها ليس بالأمر اليسير، و مع ذلك فهو يرى أنّه ليس من التّحنّي أن نرجّح أنّ بعض تلك الكلمات؛ التي وردت في باب الإبدال لاتمتُّ للإبدال بأيّة صلة ؛بل هي وليدة التّصحيف.[2]

في حين رجع ذلك الشّدياق إلى أنّ أهل اللُّغة لم يعنوا بتأليف الكلام[3] .

و ذهب د. صبحي الصّالح إلى أنّ تصحيف السّمع أكثر ما يقع في الأحرف المتقاربة مخرجا أو صفة ، و أنّ هذا النّوع أكثر شيوعا و انتشارا؛ للتّقارب بين الأصوات، في حين أنّ هذا التّصحيف عند الشّدياق لم يقتصر على النُّطق ،بل تعدّاه إلى الخطّ[4] .

و رجع د. عبد محمّد الطّيّب ظاهرة الوتم إلى هذا العيب ؛ إذ رأى أنّ السّين قد تُسمع من بُعْد و كأنّها الثّاء ؛ لما في كليهما من الهمس ، و يتحقّق ذلك حين يكون الصّفير في السّين ضعيفا.

و بعد : فلعلّ ما سلف بيانه كان تأثُّرا بالمدرسة الانجليزية؛ التي كان الأستاذان سيس و سويت الانجليزيان ، و كذلك جسبرسن الدّغركي من أظهر ممثّليها؛ و ذهبت هذه المدرسة إلى أنّ الظّواهر جميعها- بما في ذلك التّطوُّرات الصّوتيّة- ترجع إلى أمور يقوم بها الأفراد،و تنتشر عن طريق التّقليد و المحاكاة . و هي- في هذا - متأثّرة بنظريّة العلّامة الفرنسي جوزاليل تارد؛ إذ ذهب إلى أنّ الظّواهر الاجتماعيّة جميعها فرديّة المنشأ، و تصبح اجتماعيّة عن طريق التّقليد [7].

[1] من أسرار اللُّغة ٨٤ .
[2] السّابق ٨٤ – ٨٥ .
[3] المخصوص على القاموس ١٨٤ .
[4] دراسات في فقه اللُّغة ٢٣٧- ٢٣٨ .
[5] المخصوص على القاموس ١٨٢ .
[6] لمحات العرب و امتدادها إلى العصر الحاضر ١٦٢ ، اللُّغة العربيّة في مواجهة الحياة ١٩٨ .
[7] علم اللُّغة (والي) ٥٨ .

و قد رأى د. علي عبد الواحد وافي فساد ذلك ؛ إذ قال : " فليس بصحيح ما ذهب إليه بعض العلماء من أنّ تطوُّر الأصوات يحدث نتيجةً لأعمال فرديّة اختياريّة، تنتشر عن طريق التّقليد و المحاكاة "[1] . و فرّق بين نوعين من الأخطاء : أخطاء خاصّة ، و أخرى عامّة ؛ أمّا الخاصّة؛ فهي: أخطاء مقصورة على بعض الأفراد؛ نتجت عن ضعف السّمع، أو اختلال أجهزته، و ما إلى ذلك ، و ليس لمثل هذه الأخطاء شأن كبير في التّطوُّر اللُّغوي ؛ لأنّها مقصورة على أصحابها؛ تبقى معهم، و تموت بموتهم .

و أمّا العامّة؛ فهي: أخطاء يشترك فيها جميع أفراد الطّبقة الواحدة ، و تمتاز بها لغتهم عن لغة الطّبقة السّابقة لهم ؛كالأخطاء السّمعيّة النّاشئة عن ضعف بعض الأصوات؛ حيث يحيط بالصّوت بعض المؤثرات؛ التي تعمل على ضعفه بالتّدريج، فيتضاءل جرسه حتى يصل إلى درجة لا يكاد يتبيّنه السّمع، فحينئذ يكون عرضة للسّقوط ، ثمّ إنّ بعض الصّغار في هذا العصر لا يكاد يتبيّنه في نطق الكبار ؛ فينطقون بالكلمة مجرّدة منه ، و ظهر هذا العامل بشكل واضح في الأصوات الواقعة أواخر الكلمات ؛ كعلامة الإعراب في اللُّغة العربيّة [2].

و ذهب أولمان إلى أنّ التّغيُّرات اللُّغوية مهما اختلفت في طبيعتها و سرعتها، غير أنّها تسير وفق قاعدة رئيسة ؛ و هي أنّها تقع- دائما- على مرحلتين : الأولى مرحلة التّغير نفسه أو الإبداع و التّجديد ، و هو عمل فرديٌّ، غير أنّه ليس مقصورا على فرد واحد؛ فقد يتصادف أن يتّفق أفراد كثيرون على التّغيير في وقت واحد ، و قد يحسّ عدد آخر من الجماعة اللُّغوية المعيّنة بأنّ هذا الابتداع كان بأذهانهم ، و كان بمقدورهم أن يبدأوا به ، و رأى أنّ هذا القبول الاختياري، و هذا الاتّفاق الانبعاثي عاملان رئيسان في المرحلة الثّانية ؛ و هي مرحلة انتشار التّغيير ، فإذا ما سمع الشّيء المبتدع علق بالذّهن ، و ترتّب على ذلك استعمال الآخرين له، و من ثمّ ينفذ بالتّدريج إلى نظام اللُّغة [3].على أنّنا -كما يقول د. تمام حسان-لا نستطيع أن نقول عند أيّ حدٍّ معيّن بدأ هذا التّغيُّر ، ولا أن ننسبه إلى جماعة بعينها، و لا نستطيع –

[1] السّابق ٢٨٧ .
[2] علم اللُّغة ٢٩٧ .
[3] دور الكلمة في اللُّغة ١٥٣ – ١٥٤ .

Scanned with CamScanner

شين ، و ليس ذلك بلغة ؛ و إنّما هو كاللثغ ."[1] و تبّه ابن عصفور لذلك؛ و أخرج هذا النّوع من التّعاقب من حيّز الإبدال ، و قال : " لم يبدل السّين من الشّين في عشقتني ، و لا في شانني ؛ بل كان له لثغ في الشّين ، فكان يتعذّر عليه النّطق بها حتى يجعلها سينا "[2].

و لأهلية هذه الآفة حاءت غاية العلماء بها؛ إذ جُعلت بمنزلة اللّحن ؛ لأنّ هذا اللّون من التّعاقب فرديٌّ " يقع من بعض الأفراد ؛ بسبب عجزهم و قصورهم الذّاتي ، و أنّه ليس من ذلك النّوع من التعاقب؛ الذي يتبع فيه الفرد قومه، و أبناء قبيلته "[3]، و هو ما يُعنى بدراسته اللّغوي ، و توضع على أساسه القوانين اللّغويّة ، و من ثمّ فهو " لا يمثّل ظاهرة لغويّة يمكن درجها تحت موضوع اللّهجة القبليّة "[4]. و هذا اللّون من النّطق يبقى مع الفرد؛ من غير عدوى منه إلى محيطه الاجتماعي . و التّلبّس به لا يكون مقصودا أو اختياريّا ، كما أنّه – في الغالب – يسبب له احراجات شتّى ؛ تهون حينا و تصعب أحيانا .[5]

و هذا العيب يمنع أن يكون صاحبه عيّنة تؤخذ لغة .[6]

أمّا عن واقعة التّصحيف ، و أثرها في التّطوّر اللّغوي ، فليس بوسع أحد أن ينكر التّصحيف في اللّغة ، أمّا أن يكون لهذا التّصحيف أثر في التّطوّر اللّغوي، فرأي جانبه الصّواب ؛ لأنّ التّصحيف و إن كان شائعا إلا أنّه يُعرّض صاحبه للذّم و الانتقاص .

و ينبغي التّنبيه إلى أنّ الاتّهام بالتّصحيف لم يبنَ على معرفة علميّة دقيقة في جميع الأحوال ؛ بل خضع للنّزعات الشّخصيّة البحتة ، ووجوده أمر طبعي ؛لضخامة التّراث العربي ،و صعوبة السّيطرة عليه عند جمعه ؛ نظرا لبداءة وسائل تناقله . و يمكن القول بأنّ كلّ المآخذ؛ الّتي سُجّلت على لغوي القرن الثّاني من هذا الوجه ، لا تشكّل شيئا له قيمته الكبيرة، إذا ما قورنت هذه الأخطاء بمحمل ما حفظوه لنا[7].

---

[1] سر صناعة الإعراب ١/ ٢١٤ .
[2] المنع ١/ ٤١٠ .
[3] أشتات مجتمعات ٩٥ .
[4] عيوب اللّسان و الشّبهات المذمومة ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج ٣ ، مج ٣٦ ، ص ٢٤١ .
[5] اللّحن في الأصوات العربيّة . مجلة أبحاث اليرموك ، ع ١ ، مج ١٦ ، ص ٧٥ .
[6] علم اللّغة و فقه العربيّة ٤٦ .
[7] لغوي القرن الثّاني و ظاهرة التّصحيف ، مجلّة آداب المستنصريّة ، العدد ٦ ص ١٣٧ .

و أفرد السّيوطيُّ لذلك بابا في مزهره بعنوان : " معرفة ما ورد بوجهين بحيث يؤمن فيه التّصحيف "[1] قال فيه : " هذا نوع مهمٌّ يجب الاعتناء به ؛ لأنّ به يندفع ادّعاء التّصحيف على أئمّة أجلاء "[2]. و ذكر عددا من الكلمات ؛ التي يُظنُّ أنّها من باب التّصحيف؛ من نحو :الدّبر و الدّثر : المال الكثير [3]،و من ذلك قولهم : تركت فلانا يحوس بني فلان ،و يجوسهم ؛أي :يدوسهم ، و يطلب فيهم[4] ،و قولهم : الحفحفة بالحاء ، و الخفخفة بالخاء : صوت الضّبع.[5] و ذكر قصّة وقعت لأبي عمرو مع يزيد بن مزيد ؛ حيث إنّ أبا عمرو أنشد يزيد بيتا من الشّعر فيه كلمة (عَدُوف) فقال : صحّفت يا أبا عمرو . قال : لم أصحّف ؛ لغتكم (عذوف) و لغة غيركم (عدوف) .[6]

و في هذا دليل على أنّ اختلاف لغات العرب قد لعب دورا بارزا في هذا .

و تجاوز الأمر لغة العرب إلى القراءات القرآنيّة ؛ و من ذلك قوله تعالى : (ولا تَجَسَّسُوا)[7] حيث قرأ الحسن ، و أبو رجاء ، و ابن سيرين بالحاء .[8]

و ناقش د. علي حسين البوّاب هذه المسألة قائلا : " لست أدفع ورود التّحريف في اللّغة، و لكنّي أقول : إنّ أكثر ما قيل إنّه كذلك، هو من اختلاف العلماء ، و سأنقل- هنا- بعض ألفاظ الإبدال اللّغوي؛ التي قيل : إنّ فيها تحريفا ، و أكثرها مما يمكن دفع التّهمة عنه "[9]. و نقل عددا من الألفاظ من غير معجم، مثبتا ورودها بالصّورتين ؛ من مثل: رعج و زعج؛ بمعنى: أقلق [10]، و أحم و أحم الأمر؛ بمعنى: حان وقته[11]، معلّقا على ذلك بأنّ أكثر

---

[1] المزهر ١/ ٥٣٧-٥٥٦ .
[2] المزهر ١/ ٥٣٧-٥٣٨ .
[3] المزهر ١/ ٥٣٨.
[4] المزهر ١/ ٥٤١ .
[5] المزهر ١/ ٥٤٣.
[6] المزهر ١/ ٥٣٧ .و العدوف : الأكل ، و هي بالذال لغة ربيعة . اللّسان (عدف) ٩/ ٢٣٥ .
[7] الحجرات ١٢.
[8] البحر ٨/ ١١٤ .
[9] ظاهرة الإبدال اللّغوي ١١٦ .
[10] القاموس المحيط (رعج ، و زعج) ١/ ١٩٧ .
[11] الصّحاح (حمم) ٢/ ١٤٠١، و (حمم) ٢/ ١٤١١ .

Scanned with CamScanner

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وأصحابه وجدّه أبى الأنبياء إبراهيم، وبعد...

فهذه دراسة تتعلّق بأحد الأصوات «المشكلة» فى اللغة العربية، وهو صوت القاف، ذلك الذى عالج ضرويًا من «التقلّب الفونيمى» أثمرتْ صوراً نطقية Allophones متعددة له فى عالمنا العربى المعاصر.

وتنهض الدراسة على البحث فى ثلاث مسائل أساسية تتعلق بهذا الصوت، وقد أُفرِد لكل منها مبحث مستقلّ:

فأما المبحث الأول، فيُعنى بدراسة الصور النطقية لصوت القاف، كما يتجسد فى وصف قدامانا له، وكما يتحقّق فى عالمنا العربى المعاصر، مع الموازنة بين هذه الصور النطقية للوقوف على تلك التى عناها القدماء بوصفهم. وقد قفّيتُ هذا المبحث بمحاولة وضع «تصوُّر ترجيحىّ» لتوالد هذه الصور النطقية معتبراً ما قرّره الدرسُ اللغوىّ المقارن بشأن تحديد النطق الأقدم لهذا الصوت.

وأما المبحث الثانى: (= إبدال القاف)، فقد خصّصتُه لدراسة ما أوردته بعض كتب اللغة - وعلى رأسها كتب الإبدال - على أنه أمثله لحصول الإبدال بين القاف وغيرها من الأصوات، مقسِّماً تلك الأمثلة إلى أمثلة تتحقّق فيها العلاقة الصوتية، وأخرى تعوزها تلك العلاقة. مع محاولة بيان «الأصيل» و «المبدل» فى أمثلة القسم الأول، وبيان خروج أمثلة القسم الثانى من دائرة «الإبدال» إلى دائرة «الترادف».

وأما المبحث الثالث: (= تأثير القاف فى مجاوراتها)، فقد كَسَرتُه على الحديث عن تأثير القاف فى الأصوات الصفيرية (س-ص-ز) التى تجاورها فى بعض جذور اللغة، وهو التأثير الذى اتخذ لدى بعض القبائل العربية منحًى مطرداً، أو شبه مُطّرد.

وقد قدمتُ بين يدى هذه المباحث الثلاثة بـ «تمهيد» عرضتُ فيه لأهم المفاهيم الاصطلاحية التى تتردد ترددًا فى أثناء البحث، وهى تلك الخاصة بصفات الأصوات - أو ملامحها التمييزية - موازنًا فى ذلك بين «كلام» قدامانا، وما قرره المحدثون.

وأما «الخاتمة»، فقد عرضت فيها لأهم النتائج التى أمكن الوقوف عليها من خلال هذه الدراسة.

والدراسة - بعد - دراسةٌ صوتية فى معظمها كما هو ظاهر. وأما الجانب (الدلالى) فيها، فيتمثّل - على نحو خاص - فى المبحث الثانى (= إبدال القاف) حيث اعتمدت المعيار الدلالى أساسًا لتحديد «الأصيل» و«المبدل» من الأمثلة التى تحققت فيها العلاقة الصوتية (ق/ك - ق/غ)، كما اعتمدته أساسًا - كذلك - لإخراج الأمثلة التى لا تتحقق فيها هذه العلاقة من دائرة «الإبدال» إلى دائرة «الترادف».

وقد استعنتُ فى عملى هذا بكل ما استطعت الوقوف عليه من مصادر عربية: تراثية ومعاصرة، ومصادر أجنبية: مترجمة وغير مترجمة، مما حسبت أن فيه إفادة لأى جانب من جوانب الدراسة.

....وبعد، فهذا جهد أدعو الله - جلّ وعزّ - أن يتقبّله، وأن ينفع به، وأن يتجاوز عما قد يكون به من قصور.

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾

[الكهف: ١٨/ ١٠]

Scanned with CamScanner

٧٣. النُّموُّ اللُّغوي و الطُّفولة . د. عبد العزيز علام ، جامعة الأزهر ، مجلّة كلّيّة اللُّغة العربيّة بالقاهرة ، ع٨، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

٧٤. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع لجلال الدِّين السُّيوطي (ت ٩١١هـ) الجزء الأوّل تحقيق عبد السَّلام هارون، و عبد العال سالم مكرم ، مؤسَّسة الرِّسالة ، بيروت ، لبنان ، ط٢، ١٤٠٧هـ ، الجزء الثّاني تحقيق عبد العال سالم مكرم ، مؤسَّسة الرسالة بيروت ، ط٢، ١٤٠٧هـ ، و بقيّة الأجزاء (٣-٧) تحقيق عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلميّة ، الكويت ، ١٣٩٧هـ / ١٩٨٢م .

القاف العربية: صورها النطقية وإبدالها، وتأثيرها في مجاوراتها

(دراسة صوتية ودلالية)

الدكتور

عبد الكريم محمد حسن جبل

Scanned with CamScanner

لثغاء نالي يحبّبني ألثغ تمبّسُ في المؤشيّ و المُصبّغ "[1].

و هذا يدلُّ على عناية العرب باللُّغة، و اهتمامهم بالنّاشئة ؛و ذلك من خلال اختيار الأم ؛ و هي القدوة الأولى بالنّسبة للطّفل .

و هذا واصل بن عطاء ؛و هو من كبار المعتزلة ، و كان خطيبا مفوّها إلا أنّه كان قبيح اللُّثغة شنيعها ؛ لذلك يتحبّب النُّطق بالراء في كلامه، و يعمد إلى مرادف هذه الكلمات .[2]

و من هنا" يتّضح أنّ اللُّثغة من العيوب الكلاميّة؛ التي عرفها العرب ، و نزّهوا كلامهم من الوقوع فيها؛ بما لها من آثار لُغويّة،و اجتماعيّة ؛كحدوث الاضطراب، و التّداخل في الألفاظ ، و المعاني ، و ما يترتّب على ذلك من سوء الفهم، و صعوبة الإفهام، إلى جانب قبح الأداء ، و ما يترتب عليه من نفور السّامع ، ووحشة المخاطبين "[3].

يقول الكنديُّ : " فمتى تغيّرت آلة النُّطق ، و زالت عن الأماكن الواجبة للنُّطق، فسد لذلك المنطق ، و أتي بخلاف ما قصد له النّاطق "[4].

و ما قيل من أنّ القدماء فطنوا لدور اللُّثغة في التّطوّر اللُّغوي للدرجة جعلت الخليل و غيره من العلماء يحارون في عدد من الألفاظ ألغة هي أم لُثغة ؟ رأي لا تركن إليه النّفس ، و فهمي لما ورد عن الخليل و غيره من العلماء يخالف ذلك ؛ و هو أنّ الخليل وجدها، فدوّنها؛ حرصا على الاستقصاء في جمع المادة اللُّغوية ، و أثبت- مع ذلك- تشككه ؛ ليترك للمخالفين إماطة اللّثام عن مثل ذلك ، و هذا ما قام به السُّيوطيُّ في مزهره ؛ إذ أفرد لها بابا بعنوان : " معرفة ما ورد بوجهين بحيث إذا قرأه الألثغ لا يعاب " مقرّرا أنّها لغة، و إذا قرأ بها الألثغ،فإنّه لا يعاب".[5] و وصف د. علي حسين البوّاب عمل الخليل هذا بالأمانة و الدّقّة، معترضا على من اتّهمه بالتّصحيف و التّحريف؛ حيث قال : " أهناك أمانة و دقة أكثر من ذلك ؟ أو بعد ذلك يتّهم هؤلاء الأئمة بالتّصحيف، و يُرمون بالخطأ و التّحريف؟! أيصحُّ أن نجري وراء الافتراضات ، فنزعم أنّ الإبدال بين الراء و الغين ، أو بين الثاء و الذال ، أو بين اللام و الراء ليس إلا

[1] البيان التبيين ١/ ٧٥ .
[2] البيان و التبيين ١/ ١٦ .
[3] اللاحن الأدبيّة ٢٥٢ .
[4] رسالة الكندي في اللّغة ، مجلة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق ج ٣ ، مج ٦٠ ، ٥٢١ .
[5] المزهر ١/ ٥٥٦- ٥٦٦ .

لثغات، أو من أخطاء الأطفال؛ الذين لا يجدون من يصلح لهم أخطاءهم، أو من أوهام السّمع ،كما يحلو لعلمائنا المعاصرين أن يقولوا "[1].

و ذهب د . سليمان العايد إلى أنّ ماكان من هذه الأمثلة و نحوها؛ مما نصّ عليه العلماء ليس لثغا؛ بل تعاقب حروف يحفظ ما جاء منها ، و لا يقاس عليه؛ بمعنى: أنّ من نطق غير ما جاء عن العرب في ذلك فقد قارف لثغا [2].

و يرى د. عبد الغفّار حامد هلال أنّ في التّعويل على مثل هذه الآفات شيئا من المبالغة ، و إن كان لهذه العلل أثر ما قد يتسبب في إبدال بعض الكلمات عند فئة من النّاس ؛ ممن أصيبوا في سمعهم، أو نطقهم ، خرجت بهم هذه الآفة عن السّلامة المفترضة .[3]

و من هنا يُردُّ على من قال : إنّ الوتم نتج عن هذه الآفة . و مما يؤكد ذلك اشتمال بعض الكلمات على صوت السّين في موضعين من الكلمة ؛ فيبدل في واحد منها ، و لا يبدل في الآخر ؛ من نحو ما رواه الأصمعيُّ من قولهم : الكرم من سُوسِه، و تُوسِه ؛ أي : من خليقته[4] .فلو كان لُثغة ؛ لأبدل السّين تاء في الموضعين .

و من ذلك ما أنشده يعقوب :

قد زمّلوا سلمى على تِكّين و أوْلَعُوها بدم المسكين

أراد : على سِكّين [5]،فأبدل السّين تاء فيها، و لم يبدل في سلمى، و المسكين .

بل و صل الأمر إلى القراءات القرآنيّة ؛ حيث قرىء قوله تعالى : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)[6] : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّات)[7].

أمّا ما يتعلّق بواقعة اللُّكْنة، فقد قال القدماء- من علماء العربيّة- قولهم في ذلك ، فهذا ابن جني -حين تعرض للُكْنة سُحيم- قال : " إنّما قلب السّين شينا؛ لسواده، و ضعف عبارته

[1] ظاهرة الإبدال اللّغوي دراسة وصفيّة تطبيقيّة ١١٥ .
[2] من عيوب النطق اللثغ بالراء ٧٧
[3] اللّهجات العربيّة نشأة و تطوّرا ١٤٩ .
[4] الإبدال ١/ ١١٥ .
[5] اللّسان ١٣ / ٢١١ .
[6] النّاس ١.
[7] مختصر في شواذ القرآن ١٨٤.

Scanned with CamScanner

و من هذه الأمراض ماكان مختصا باللّسان ؛ حيث " يتم تحوّلا صوتيا، و انتقالا لمخارج الحروف ، حتى يتكوّن للصّيغة شكل جديد، يختلف عمّا كانت عليه من قبل ، و ليس السّبب في تلك الصّورة إلا عيوب المنطق ، و إصابة الجهاز الصّوتي بعلّة فيه "[1].

و من هذه العيوب اللّثغة و اللُّكنة . أمّا اللّثغة؛ فهي :" تحويل حرف إلى غيره؛ لغير سبب لغويّ أو صوتيّ مع العجز عن إبانة الحرف الأصليّ "[2]؛ لغير سبب من المُحمة "[3].و من ذلك: فولهم في ظاهرة الوثم ؛ و هي :تحويل السّين ثاء ؛ كما في: النّاس و النّات: إنّها نتيجة من نتائج هذه الآفة، ثمّ إنّ مثل هذه الآفة تعمّم بفعل التّقليد ؛ إذ من الممكن " أن تتّسم شخصيّة عظيمة باللّثغة، فتقتدي بها الطّبقات الأخرى المحيطة بها، و تقلّدها أوّلا في تلك اللّثغة ، و بعد مرور زمن يصبح هذا الانحراف، أو تلك اللّثغة مقبولة ... و النّاس مجبولون على تقليد العظماء ، و ما يجري على اللّغة- في هذا المنحى- يجري على الأمور الأخرى ؛كالأزياء، و العادات "[4].

و قد تنتقل هذه الآفة عن طريق الوراثة من الآباء إلى الأبناء ،ثم تشيع في الأجيال حتى تكون صوابا فيما بعد [5].

و قرّر د. أحمد علم الدّين الجندي أنّ القدماء- من علماء العربيّة -كانوا على ذُكر من ذلك ؛ إذ صدرت لهم إشارات تدلُّ على ذلك في تضاعيف كتبهم [6]؛ و من ذلك: أنّ الخليل حار في الذُّعاق و الزُّعاق ؛ وهو الدّاء القاتل فقال : " سمعناه فلا ندري ألُغة هي أم لُثغة ؟"[7]، و كذلك الأصمعي ؛ إذ قال : " العاذر لُغة في العاذل أو لُثغة ، وهو :عرق يخرج منه دم الاستحاضة "[8].

---

[1] اللّهجات العربيّة في التّراث ١/ ٤١٣- ٤١٤ .
[2] السّابق
[3] من عيوب النّطق الشّائع بالرّاء مجلّة جامعة أمّ القرى ، ع ٥ ، ص ٧٤ .
[4] اللّهجات العربيّة في التّراث ١ / ٣٥٧ .
[5] السّابق
[6] السّابق
[7] العين ١ /١٤٨ .
[8] الزّهر ١/ ٥٥٧ .

و في اللّسان :" مرست التّمر و غيره في الماء إذا انقعته ، و مرثته بيدك ، و مرس الصّبي أصبعه يمرسه ؛ لغة في مرثه أو لُثغة "[1].

أمّا اللُّكْنة؛ فهي: عُجمة في اللّسان و عِيٌّ ، و لَكِنَ لَكَنا و لُكُونة ، و الألْكَن: الذي لا يقيم العربيّة ؛ لما في لسانه من عُجمة[2]. يقول المبرّد : " اللُّكْنة أن تعرض على الكلام اللُّغة الأعجميّة "[3]؛ لأنّ اللّسان تجذبه العادة الأولى إلى المخرج الأوّل .

و هذا يكشف ما للُّغة الأولى؛ التي نشأ عليها الفرد من أثر في استصحاب خصائصها اللُّغويّة في تَعَلُّم لُغة أخرى .

و من صورها: نطق الخاء هاء ؛ و من ذلك: قول صهيب : إنك لهائن يريد: لخائن [4]، و منها ـــ أيضا ـــ :نطق السّين شينا، و الطّاء تاء ، و منه: ما أنشده زياد الأعجم :

فتى زاده السُّلطانُ في الودّ رفعة ... إذا غيّر السُّلطانُ كلّ خليل

فكان يقول : فتى زاده الشُّلتان [5].

و منه: لُكْنة سُحيم ؛ إذ قال : ما سعرت يريد بها: ما شعرت [6]. و مما ورد عنه في ذلك قوله:

و لو كنتُ وردا لونه لَعَسِقْتِني ... و لكنّ ربّي سانني بِسَوَادِيا [7].

يقول د. أحمد علم الدّين الجندي :" قد يرجع التّبادل بين السّين و الشّين لا إلى العلاقة بينهما ... بقدر ما يرجع إلى أمراض الكلام "[8].

---

[1] لسان العرب ٦ / ٢١٥ .
[2] السّابق ١٣ / ٣٩٠ .
[3] الكامل ١ /٢٢١
[4] البيان و التّبيين ١/ ٧٢ .
[5] السّابق ١/ ٧١ .
[6] السّابق ١/ ٧٢ .
[7] سر صناعة الإعراب ١/ ٢٠٣ ، اللّسان ٩/ ٢٠٧ ، وورد في ديوانه :
فلو كنت وردا لونه لعشقتني ... و لكنّ ربي شانني بسوادیا
ينظر ديوان سُحيم ٢٦ .
[8] اللّهجات العربيّة في التّراث ٢/ ٤٥٦

Scanned with CamScanner

لك- أن نقرّر ما إذا كان تغيّر ما قد بدأ فرديّا، ثم اتّسع مدى تطبيقه، و لا أن ننسبه إلى فرد معين .[1]

و رأى ج. فندريس أنّ الظّواهر اللّغوية ما هي إلا نتيجة لما أفرزته الأجيال في المجتمعات، و دعا إلى التّفرقة بين التّغيّرات الفرديّة و التّغيّرات الجماعيّة المشتركة؛ فقد يحدث أنّ بعضهم لديه نقص في بعض الأصوات؛ نتيجة لاستعداد مرَضي ، و رأى أنّ هذا النّقص الفرديّ لا يعني غير الطّيب ، وعلى ذلك لا يمكن التّعويل على هذا المبدأ في دراسة الظّواهر اللّغوية؛ إذ يلحظ أنّ مثل هذه التّغيّرات الصّوتيّة لم تنته إلى نتيجة يمكن تعميمها ، و غاية ما في الأمر هو الاستفادة منها في الإعلان عن نقاط الضّعف في النّظام اللّغوي.

و ذهب إلى أنّ الاعتقاد بأنّ كلّ تغيّر صوتي إنّما يصدر عن الفرد، ثم يعمّم أمر لا يمكن قبوله بحال ، و إن كان هذا الاعتقاد قد ساد شطرا طويلا من الزّمن ؛ ذلك أنّه ليس في وسع أيّ فرد أن يفرض على حواته نطقا تنبو عنه فطرتهم ، و لأجل أن يصير تغيّر ما قاعدة لمجموعة اجتماعيّة ، يجب أن يكون لدى كلّ أفراد هذه المجموعة ميل طبعيّ لتحقيقه من تلقاء أنفسهم ، مقرّرا أنّ سلطان المحاكاة ليس له أيّ تأثير ، فالنّطق الشّاذّ لا يجلب أتباعا لصاحبه؛ بل يجلب له السُّخرية .[2]

و لو حصل أنّ كان لبعض التّغيّرات الفرديّة أثر ما فهي تغيّرات طارئة و مؤقّتة ، و ليس لها من تأثير في النُّظم الصّوتيّة للّغة ، ذلك أنّنا -كما يقول د. تمام حسّان- نتلعثم أحيانا؛ فنتنطق بالكلمات على غير وجهها ، و أنّنا نتفاصح أحيانا؛ فنزيد في تفخيم المفخّم ،وترقيق المرقق ، وقد يدفعنا مزاج خاص، أو موقف اجتماعي خاصّ إلى أن نخرج لساننا في الثّاء حين الكلام باللّهجة العاميّة؛ التي لا تشتمل بين حروفها على الثّاء ، أو لا نخرج اللّسان في نطق الثاء حين النُّطق باللّغة الفصحى ، و هذه التّغيرات طارئة و مؤقّتة ، و غير مؤثّرة في النُّظم الصّوتيّة للّغة ، و هي من باب الغلط؛ الذي يقابل بالنّقد الصّارم .[3]ذلك أنّ اللّغة بنت المجتمع، فيه تعيش، و تكتسب وجودها من الاحتشاد الاجتماعي ، و من هنا جاء تعريف ابن جنّي لها بقوله :

[1] اللّغة بين المعياريّة و الوصفيّة ٩٦ .
[2] اللّغة ٦٩ ــ ٧٠ .
[3] اللّغة بين المعياريّة و الوصفيّة ٩٦ .

" أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم "[1]. فنحده يقول : "كلّ قوم " ، و لم يقل: كلّ إنسان ؛ لأنّ اللّغة بنت المجتمع فيه تعيش و ينموّه و ازدهاره تتطوّر[2] .

يقول ج. فندريس : " في أحضان المجتمع تكوّنت اللّغة . وحدت اللّغة يوم أحسّ النّاس بالحاجة إلى التّفاهم فيما بينهم ... و صارت من أقوى العُرى؛ التي تربط المجتمعات ، و قد دانت بنشوئها إلى احتشاد اجتماعي "[3].

فهي ليست من الأمور؛ التي يصنعها فرد معيّن أو أفراد معيّنون ؛ و إنّما تخلقها طبيعة الاجتماع ، و تنبعث عن الحياة الجمعيّة ، و أنّ أيّ تغيّر يعتريها لا يكون وفقا لإرادة الأفراد .[4]

و مهما يكن من أمر هذه التّغيّرات، فإنّ الأطفال ليس لهم تأثير فيها ؛ لأنّ الطفولة ليست سوى مرحلة تقليد لغوي ، و عندما يخطئ الطّفل في نطق بعض الكلمات ، فإنّ ذلك لا يعني بَدْأ التّطَوُّر في أصوات اللّغة ؛ لأنّ طبيعة اللّغة كفيلة بتصحيح هذا الخطأ فيما بعد ، و يتمّ ذلك عندما يكتمل نضج الأعضاء الصّوتيّة لدى الطّفل .[5]

وهذه الأخطاء تُعرف بالنّتاج السّنّي ؛ و تعني: أنّ هناك صيغا لغويّة؛ لا يستخدمها سوى الأطفال في مرحلة الأقران ، و تتناقل الأجيال من الأطفال هذه الصّيغ من دون أن يستخدمها البالغون مطلقا ، وأنّ هؤلاء الأطفال سيهجرون هذه الخصائص في آخر الأمر .[6] و حدّد علماء النّفس اللّغوي المسار الزّمني الاستمراري لمرحلة التّقليد و المحاكاة -عند الأطفال- ما بين نصف سنة إلى ثلاث سنوات ونصف [7].و من ثمّ ما روي من أنّ بعض الأطفال يبدل حرفا مكان آخر ، أو يقدّم حرفا على آخر لا يمكن أن يندرج تحت قواعد أعمّ ، و من المرجّح أنّ هذه التّغيّرات نتيجة اضطراب الطّفل؛ لعدم سيطرته على النّظام اللّغوي ؛ لأنّ البعد السّمعي لا يتناظر- أحيانا- مع البعد النّطقي؛ ممّا يجعل الطّفل مضطربا بينهما . على أنّ هذا

[1] الخصائص ١/ ٣٣.
[2] فقه اللّغة في الكتب العربيّة ٧٢ .
[3] اللّغة ٣٥ .
[4] اللّغة و المجتمع ٦ .
[5] اللّغة بين الفرد و المجتمع ٣٨ .
[6] علم اللّغة الاجتماعي ٣٢ .
[7] الأصوات اللّغوية ٣١٧ .

Scanned with CamScanner

ومن الواضح - بعد - أنّ ثمة تطابقًا بين مفهومى «الشدّة» و«الرّخاوة» لدى سيبويه - ومن سار على جديلته - ومفهومى «الإيقاف» و«الاحتكاك» لدى المحدثين؛ من حيث وحدة المعيار لدى كلٍّ: «منْع الصوت» أو «جريانه» لدى المحدثين(١). سيبويه، مقابل «إيقاف تيار الهواء»، أو «استمراريته» لدى المحدثين.

وأشير - أخيرًا فى هذا الصدد - إلى أن ثمة صفة صوتية ثالثة عرض لها القدماء، وهى «التوسط بين الشدّة والرخاوة»، وقد جمعوا الأصوات المتصفة بهذه الصفة فى عبارة «لن عمر». وتتميز هذه الأصوات - فى رأيهم - بأنها تجمع بين صفتى الشدّة والرخاوة؛ من حيث حصول اعتراض لمجرى الهواء فى موضع ما (=عنصر الشدّة)، ومرور النَّفس على الرغم من ذلك من منفذ آخر (= عنصر الرخاوة)، كما هو الشأن فى صوت اللام مثلاً(٢).

وأما من حيث الاعتبار الثانى (= حالة الوترين الصوتيين لدى النطق بالصوت)، فيميّز المحدثون بين صفتين أساسيتين: «الجهر» فى مقابل «الهمس»:

فأما مصطلح الجهر: فيشير إلى «الأثر السمعى الناتج من تذبذب الوترين الصوتيين Vocal cords»(٣). والسبب فى حصول هذا التذبذب هو أن الوترين الصوتيين يكونان - لدى النطق بالصوت المجهور - متقاربين «أو فى وضْع تلامُس» ثم

(١) وانظر فى التعليق على تعريف سيبويه لهاتين الصفتين:
شاده: علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص٨ - ١٠، وكانتينو: دروس فى علم أصوات العربية ص٣٥-٣٦، ود. أنيس: الأصوات اللغوية ص١٢٦-١٢٧، ود. رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ص٤٠-٤١، والمختصر فى أصوات اللغة العربية ص٦٧-٦٨، ود. إسماعيل عمايرة: نظرات فى التطور الصوتى للعربية ص١٢١-١٢٥.

(٢) انظر: الكتاب ٤/٤٣٥، وسر الصناعة ١/٦١، والممتع ٢/٦٧٣-٦٧٥، وشرح الشافية ٣/٢٦٠-٢٦١، والنشر فى القراءات العشر ١/٢٠٢. وانظر فى التعليق على كلام القدماء بشأن هذه الصفة: أنيس: الأصوات اللغوية ص٢٤-٢٥، ومناهج البحث فى اللغة ص١١٣، والمختصر فى أصوات اللغة العربية ص٦٨.

(٣) - A dictionary of linguistics and Phonetics, P.413.

يباعد بينهما بقوة من الأسفل إلى الأعلى التيارُ الرئوىُّ المتدفق من خلال فتحة المزمار، وتتكرّر عملية الملامسة والتفريق مكوِّنة ذبذبة»(١).

فصوت هذه الذبذبة (= أثرها السمعى) - إذن - هو مفهوم صفة «الجهر»، والصوت المجهور Voiced هو الصوت الذى يصحبه ذلك الأثرُ السمعى.

وأما «الهمس»: فهو عكس «الجهر»، «فالصوت المهموس هو الذى لا يهتزّ معه الوتران الصوتيان، ولا يُسمَع لهما رنين حين النطق به»(٢).

والصوامت المجهورة Voiced فى العربية المعاصرة - كما تتجسَّم فى نطق قرّاء القرآن الكريم - هى: الباء، والجيم، والدال، والذال، والراء، والزاى، والضاد، والظاء والعين، والغين، واللام، والميم، والنون، والواو (فى نحو: ولد)، والياء (فى نحو: يئس)، وما عداها مهموس Voiceless(٣).

وأما سيبويه (١٨٠هـ)، فقد عرّف الجهر والهمس بقوله: «فالمجهورة: حرف أُشبع الاعتماد فى موضعه، ومَنَع النَّفَسَ أن يَجرى معه حتى يَنْقضى الاعتمادُ عليه ويَجرى الصوتُ.. وأما المهموس، فحرف أُضعف الاعتماد فى موضعه حتى جَرَى النَّفَسُ معه»(٤). وقد عين سيبويه الصوامت المهموسة فى العربية، وهى تلك المكَّونة لعبارة: «سكت فحثَّه شخص»، وما عداها فهو مجهور.

ومهما يكن من أمر هذا التعريف(٥)، وما يبدو فيه من «تداخل» بين تعريف

(١) دراسة الصوت اللغوى ص١٢٨.
(٢) د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٢٠.
(٣) وانظر: د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٢١، ود. بشر: علم الأصوات، ودراسة الصوت اللغوى ص٢٧٧.
وأما صوت الهمزة، فجهره أو همسه موضع خلاف. انظر: د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٩٠، وعلم الأصوات ص٢٨٨، ودراسة الصوت اللغوى ص٢٧٧.
(٤) الكتاب ٤/٤٣٤.
(٥) انظر فى محاولة شرح تعريف سيبويه للجهر والهمس: علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص١٠-١٣، ود. أنيس: الأصوات اللغوية ص١٢٤-١٢٦، والمدخل إلى علم اللغة ص٣٩-٤٠، ود. الطيب البكوش: النظريات الصوتية فى كتاب سيبويه ص١٤٧، ونظرات فى التطور الصوتى للعربية ص١٢١-١٢٥.

Scanned with CamScanner

بالمسلمين، وعلى الرغم من مشاركة غير المسلمين فى النهضة العلمية العربية فى مختلف فروعها فإنك قلما تجد أحداً من غير المسلمين يقوم على تدريس العربية وتعليمها والتأليف فيها؛ لارتباطها الوثيق بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

ومازالت هناك بقية من هذه الظاهرة فى مصر، فمدى علمى أن كلية دار العلوم لا يدخلها النصارى، وأقسام اللغة العربية فى كليات الآداب تكاد تقتصر على المسلمين. ومن ثم فإن تدريس اللغة العربية يقوم عليه الأساتذة المسلمون، وأن خريجى أقسام اللغة العربية يتولون تدريس مادة الدين الإسلامى حتى ولو لم يكونوا متخصصين فيه، وأن كتب النصوص والمطالعة تضم فيما تضم آيات وسوراً كاملة من القرآن الكريم ونصوصا من الحديث الشريف، إلى جانب النصوص الشعرية والنثرية، وأن كتب القواعد حافلة بالآيات القرآنية.

وحينما يكون الأمر على هذه الصورة من ارتباط اللغة والأدب بالقرآن الكريم ارتباطا وثيقًا لا انفكاك له لا تكون هناك حاجة للبحث عن هويةالأدب، ولا تكون هناك ضرورة لافتعال خلاف أو جدل حول تسميته أدبا عربيًا أو أدبا إسلاميا، فالأدب العربى إذا انحرف عن التصور الإسلامى بدرجة ما كما فى الغزل الماجن والخمريات والهجاء الفاحش فإنه مرتبط ارتباطا وثيقًا بلغة القرآن دلالة وأداء وتراكيب وصوراً.

ولم يكن حل العلاقة الوثيقة بين القرآن والحديث واللغة والأدب ممكناً أو متصورا فى ظل مناهج التعليم الإسلامية، فكان لابد أن تكون هناك مناهج تعليم أخرى تبشيرية أو علمانية يتولاها المستشرقون والمبشّرون (المنصّرون) ليتحقق هذا الهدف، ومن هنا عرض اقتراح على المؤتمر التبشيرى الذى انعقد فى القاهرة سنة ١٩٠٦ (قبيل إنشاء الجامعة الأهلية بمصر) بإنشاء جامعة نصرانية تقوم الكنائس بنفقاتها، وتكون مشتركة بين كل الكنائس المسيحية فى الدنيا على اختلاف مذاهبها، لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة، وتتكفل هذه الجامعة بإتقان تعليم اللغة العربية[٦].

ولم يكن الأزهر وحده هو حامي حمى اللغة العربية فى مصر، فقد كانت هناك دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعى، ولكن الأزهر كان أعرق معهد علمى فى العالم الإسلامى وأكبرها على الإطلاق، ومن هنا كانت عيون المستشرقين والمبشرين مركزة عليه. ولما كان أمر هدمه وإعدامه غير ممكن ماديًا فإن الطريق الوحيد للقضاء عليه، أو شل فاعليته، وإطفاء نوره هو إيجاد البديل العصرى لهذا المعهد العتيق، البديل الذى يقدم نفس العلوم والمعارف الإسلامية والعربية، ولكن برؤية استشراقية تبشرية.

وحينما قُدِّم هذا الاقتراح كانت معظم الدول العربية والإسلامية تحت الاحتلال الغربى، وكانت اللغات الأجنبية قد فُرضت فرضًا على مراحل التعليم المختلفة فى أكثر من بلد عربى وإسلامى، وكانت الحملة على اللغة العربية قد بلغت ذروتها، وفى هذا المناخ صُوِّرت اللغة العربية على أنها لغة قوم، وليست لغة حضارة زاهرة انفردت بسيادة العالم قرونًا عديدة، شارك فى صناعتها وحراستها أجناس شتى بدين واحد وكلمة واحدة وتبعًا لهذه الدعوى أصبح الأدب العربي أدب قوم وليس أدب لغة عاشت فى ظل القرآن الكريم والحديث الشريف. وبعد أن كنا ندرس النص العربى دون نظر إلى جنس قائله، أصبحنا أمام رؤية جديدة، فتّتت الأدب العربى إلى آداب، كل أدب منها ينكفئ على نفسه يجتّر ماضيه، ويكتشف له طريقًا مستقلاً يقودنه إلى المستقبل، وبهذه الرؤية دخل بديع الزمان الهمذانى وابن سينا والثعالبى وقابوس بن وشمكير والغزالى والفخر الرازى والزمخشرى والشهرستانى ومن على شاكلتهم تاريخ الأدب الفارسى وعُدُّوا من أدباء الفرس»[٧].

وهؤلاء نعرفهم فى تاريخنا من أعلام أدباء المسلمين وعلمائهم ومفكريهم، ومن أعلام العرب أيضًا حتى وإن كانت أعراقهم غير عربية، فالعبرة باللغة التى يعبرون بها عن مشاعرهم وأحاسيسهم ورؤاهم، وإن كان لبعض هؤلاء نتاج بالفارسية فإنه لا يمثل الكثرة الكاثرة من نتاجه، فنتاج هؤلاء عربى فى غالبيته، ومع هذا فإنهم يُخرجونهم من العرب ويدخلونهم الفرس، اعتمادا على أعراقهم.

Scanned with CamScanner

وقد كان المستشرقون حريصين على تكريس هذه الرؤية وهذا المنهج، وكانوا حريصين على أن تسود هذه الرؤية فى المناهج الدراسية فى بلادنا، وكان الطريق إلى ذلك هو إيجاد البديل للمعاهد الإسلامية العربية.

ومنذ أن افتتحت الجامعة الأهلية فى مصر (جامعة القاهرة الآن) فى نهاية العقد الأول من هذا القرن الميلادى توافد عليها أصناف شتى من المستشرقين اليهود والنصارى يعلموننا لغتنا وآدابنا وتاريخنا وحضارتنا وشريعتنا وعقيدتنا بمناهج لم نألفها ولم نعرفها، وإن كان لها بريق ولمعان، ولم يكن بول كراوس أول هؤلاء ولا آخرهم، ولم يتوقف عمل هؤلاء عند صياغة عقول أبناء هذه الأمة صياغة جديدة فى قاعات الدرس، وإنما تخطاه إلى رسم السياسة العلمية فى جامعاتنا المدنية عن طريق رئاسة مجالس الأقسام وعضوية مجالس الكليات، ولم يكن هذا عملاً علمياً فقط وإنما كان عملاً سياسياً، اقرأ معى شهادة الدكتورة بنت الشاطىء «حط الاستعمار بأشد وطأته على جامعاتنا الحديثة، فدس لها جنوده فى زى العلماء، فكانت لهم أكثر كراسى الأستاذية فى الكليات ذات الحساسية، مثل كلية الحقوق التى يتخرج فيها رجال السياسة والتشريع والقضاء، وكلية الآداب التى تدرس شخصية الأمة فى لغتها وأدابها وتاريخها وفلسفتها وآثارها، وما تلقت وتتلقى من روافد فكرية، شرقية أو غربية، قديمة أو حديثة.

فى جامعة القاهرة مثلاً - وإليها وقتئذ كانت رحلة طلاب العلم من مختلف أقطار الوطن العربى - كان الأساتذة الأجانب يرأسون أقسام اللغات الأوربية الحديثة والقديمة، وقسمى الآثار المصرية والإسلامية (؟!) (الاستفهام والتعجب من بنت الشاطىء)، ويختارون لها من أعضاء هيئة التدريس، ويرشحون لبعثاتها فى أوربا، ويمثلون الأقسام فى مجلس الكلية، ويكونون جبهة واحدة غالبة، فى توجيه خطتها ومناهجها، ومناقشة كل قرار لأى قسم من الأقسام الأخرى فى الكلية.

ومعهم فى المجلس عضوان أجنبيان من خارج الكلية، تتدخل السفارات الأجنبية فى ترشيحها، وترشيح سائر الأساتذة ذوى الكراسى وغيرهم، وتتنافس على شغل الكرسى الذى يخلو من أحدهم، وتعد نجاحها فى الظفر بالكرسى لأستاذ من رعايا دولتها عملاً سياسياً من الدرجة الأولى»[٨].

ولم يقف الأمر عند هذه الجامعة المدنية وحدها، وإنما أقيمت الجامعة النصرانية على مقربة من الأزهر الشريف لتعليم العربية وهى الجامعة الأمريكية، وللهدف نفسه أقيمت الجامعة اليسوعية والجامعة الأمريكية فى بيروت، وإذا كان الأجانب محتاجين إلى التكتل فى الجامعة المصرية للتخطيط للتعليم واتخاذ القرار فإنهم فى هذه المواقع الجديدة ينفردون بكل شىء، وبهذا تحققت توصية المؤتمر التبشيرى بصورة ما.

ولم يكن من الممكن أن يستمر المستشرقون فى مواقعهم فى جامعاتنا المدنية الحديثة إلى الأبد، فالمهم أن تستمر مناهجهم ورؤيتهم، وأن يكون لها بريق ولمعان، وقد تباعدت المسافة شيئاً فشيئاً ما بين الأدب العربى وبين مصدريه الكبيرين القرآن والحديث، فى الوقت نفسه الذى توثق ارتباطه بمصادر أخرى لم تكن له بها صلة فى يوم من الأيام. وهكذا انفتحت المناهج الجديدة فى الإبداع والدراسات النقدية معاً على الكتاب المقدس الذى كان بول كراوس يقرأ بعض نصوصه العبرية ويفسرها ويشرحها لطلاب الدراسات العليا فى قسم اللغة العربية فى آداب القاهرة فيما بين ١٩٣٨/١٩٤٢، وانفتحت كذلك على أساطير الشعوب الأخرى، وخاصة الوثنيات اليونانية.

وإذا نحن بإزاء لون جديد من الأدب يُرَوَّج له بكل الوسائل والسبل، وتُسَلَّطُ عليه الأضواء، ويُدعى أشياعه إلى المؤتمرات الدولية، وإلى الجامعات العالمية، ويرشَّحون لنيل الجوائز الكبرى، وهو فى الحقيقة أدب غريب عنا حتى وإن كتب بحروف عربية.

Scanned with CamScanner

سيبويه لهاتين الصفتين، وتعريفه السابق لصفتى «الشدة» و«الرَّخاوة»[1]، فإن تعيينه الصحيح لما هو مجهور ومهموس من أصوات العربية[2]، لمِمَّا يشهد بوقوفه على حقيقة الصفتين، وإن كان فى صياغته للتعريف قَدْر من الإلباس والغموض.

وقد ردَّد جمهور النحاة واللغويين، وعلماء التجويد والقراءات تعريفَ سيبويه - ذلك السابق - بنصِّه دون إضافة ملموسة كاشفة؛[3] ولعل غموض التعريف هو مما حدا بهم إلى ذلك.

وأما من حيث الاعتبار الثالث (وضع مؤخَّر اللسان لدى النطق بالصوت)، فيميِّز المحدثون - فى ضوئه - بين وصفين أساسيين:

١. الطبقية Velar articulation ، ويشير هذا الوصف إلى «إنتاج الصوت عن طريق رفع مؤخَّر اللسان تجاه الحنك اللينِّ Soft palate»[4] فـ «الطَّبقية» - إذن - «حركة عضوية مقصودة لذاتها، يبقى طرف اللسان معها فى وضع محايد»[5].

والأصوات الطبقية - بالمفهوم السابق - فى العربية المعاصرة، هى أصوات: القاف، والخاء، والغين، و(الكاف).

٢. الإطباق Velarisation، وهو يشير إلى «أى نطق ثانوى يتضمن حركة للجزء الخلفى من اللسان تجاه الحنك اللين. وحتى يوصف الصوت بأنه مُطبق velarized،

---

(١) وذلك من حيث ذِكره لقيد «منْع النَّفس» فى الجهر، و«جَرْى النَّفس» فى الهمس، وهما قيدان سبق أن ذكرهما - تقريباً - فى تعريفه لـ«الشدة» و«الرخاوة».

(٢) مع وجود خلاف معروف حول جهر صوتى الطاء والقاف.

(٣) انظر - مثلاً - الأصول فى النحو ٣/٤٠١، وسر الصناعة ١/٦٠، وأسرار العربية ص٤٢٣، وشرح المفصل ١٠/١٢٨-١٢٩، والممتع ٢/٦٧١، وشرح الشافية ٣/٢٥٨، وارتشاف الضرب ١/١٧؛ وانظر - من كتب التجويد والقراءات -: الرعاية لتجويد القراءة ص١١٧، والتحديد فى الإتقان ص٢٢٥-٢٢٦، والتمهيد فى علم التجويد ص٨٦-٨٧، والنشر فى القراءات العشر ١/٢٠٢، ولطائف الإشارات ١/١٩٧.

(٤) A dictionary of Linguistics and phonetics, P.406.

(٥) منابع البحث فى اللغة ص١١٥، وانظر: د. الحولى: الأصوات اللغوية، ومدخل إلى علم اللغة ص٣٨.

فإنّ موضع نطقه الأساسىّ ينبغى أن يكون فى موضع آخر من الفم غير الحنك اللين»[1].

فالصوت «المُطبَق» - إذن - يتميّز بأنه:

- ينتج فى أى موضع من الفم غير الطبق (= الحنك اللين).

- يصحب نطقَه ارتفاعُ لمؤخَّر اللسان تجاه الحنك اللينِّ.

فصوت «الظاء» - مثلاً - ينتج بوضع طرف اللسان تحت أطراف الثنايا العليا - وهذا هو موضع نطقه الأساسى - إلا أنه يصحبه - كذلك - ارتفاع لمؤخَّر اللسان تجاه الحنك اللينِّ؛ فهو لذلك صوت «مطبق». وأما الأصوات «الطبقية»، فتنتج - أساسًا - من الطبق (الحنك اللين)[2].

والأصوات «المطبقة» فى العربية المعاصرة هى أصوات: الصاد، والضاد، والطاء والظاء.

وأما قدامانا، فقد ميزّوا - فى هذا الصدد - بين زوجين من الصفات المتقابلة: «الاستعلاء» فى مقابل «الاستفال»، و«الإطباق» فى مقابل «الإنفتاح»: (الاستعلاء/الاستفال):

عيَّن القدماء الأصوات المستعلية فى العربية، وجمعوها فى عبارة «خُصَّ ضَغْطٌ قِظْ». وعلّل جمهور المتقدمين منهم لوصفها بالاستعلاء، بأن اللسان «يتصعد» - أو «يستعلى» - لدى النطق بها تجاه الحنك الأعلى[3] فى حين دقّق بعض المتأخرين،

---

(١) - A dictionary of Linguistics.., P.409.
وانظر - كذلك - - A Course in Phonetics, P.211.

(٢) وانظر: مناهج البحث فى اللغة ص١١٥، ودراسة الصوت اللغوى ص١٢٥، والمدخل إلى علم اللغة ص٣٧-٣٨، ود. الحولى: الأصوات اللغوية ص٤٦-٤٧.

(٣) انظر - مثلاً -: الكتاب ٤/٤٧٩ (فى حديث سيبويه عن القاف وقلب السين صاداً قبلها)، والمقتضب ١/٣٦٠، وسر الصناعة ١/٦٢، وأسرار العربية ص٤٢٤، وشرح المفصل ١٠/١٢٩، والممتع ٢/٦٧٥. وانظر - من كتب التجويد والقراءات -: الرعاية لتجويد القراءة ص١٢٣، والتحديد فى الإتقان ص٢٢٧، والتمهيد فى علم التجويد ص٩٠-٩١ والنشر فى القراءات العشر ١/٢٠٢.

Scanned with CamScanner

الاضطراب سيزول بمرور الوقت، و زيادة الحصيلة اللُّغوية ؛ مما يمكّن من إقامة التّمـاثلات و التقابلات اللازمة؛ للسّيطرة على النّظام اللُّغوي .[1]

يقول د. إبراهيم السّامرائي : " الذي نلاحظه أنّ القلب يعرض كثيرا في لغة الأطفال الصّغار في الثّالثة أو الرّابعة من أعمارهم، وهو عيبٌ من عيوب النُّطق ، و هم يتخلّصون من ذلـك كلّما تقدموا في السّنّ، و أدركوا إدراكا لغة الكبار؛ التي يقلّدونها" .[2]

و ما ذكره د. إبراهيم أنيس في الإبدال بين الباء و الميم ، و أنّه نتيجة أخطاء الأطفال أمـر لا تركن إليه النّفس ؛ لأنّ هذا النّوع من الإبدال لغة معروفة في قبيلة مازن[3] ، و بلحارث بـن كعب[4] ، و هذا اللّون من الإبدال جاء به القرآن الكريم ؛ حيث قال الله تعالى : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ).[5] قال ابـن عطيـة : " اختلـف النّـاس في (بكّة) ، فقال الضّحّاك ، و جماعة من العلماء : (بكّة) هي (مكّة) ، فكان هذا من إبدال الباء ميما على لغة مازن و غيرهم"[6]. و من ذلك قولهم: " هو يرمي من كَتَب ، و من كَتَم ؛ أي: من قُرْب"[7]. و ما زالت هذه الظّاهرة مستمرّة في لهجة أهل صنعاء ؛ فنجدهم يقولون في ما اسمه : بسمه ؟بقلب الميم باء[8].

ونقد د. عبد الغفّار حامد هلال ما ذهب إليه د. إبراهيم أنيس ؛ حيث رأى أنّ رأيه هذا مبنيٌّ على التّخمين ؛ الذي لا ينبني على أساس علميّ ، و لا دليل تاريخيّ ، نافيا أن يقع الخطـأ في بيئات العرب الفصحاء ، و إن صحّ حدوثه في بيئات أخرى ، أو في الأزمان المتأخّرة .[9]

---

[1] علل النحو اللغوي ١٢٠ .
[2] التطوّر اللّغوي التاريخي ١٢٠ .
[3] المحرّر الوجيز ٣/ ١٦٤ .
[4] صفات الشحوين و اللّغويين ٨٨ .
[5] آل عمران ٩٦ .
[6] المحرر الوجيز ٣/ ١٦٤.
[7] الإبدال ١/ ٤٩ .
[8] الأصوات اللّغوية في لهجة أهل صنعاء و صلتها بالعربيّة الفصحى . مجلة كليّة اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ع ٧ ص ٢٤٣ .
[9] رؤية جديدة للإبدال في الحروف الصّامتة ، مجلة كليّة اللّغة العربيّة بالأزهر ع ١٠ ، ٢٤٢ .

و يتبع ما سبق الأقيسة الخاطئة عند الأطفال ؛ ذلك أنّه قد يخطئ في نطق بعـض الكلمـات قياسا على أخرى غير أنّه يمر بمرحلة التّصحيح ؛و ذلك لمواجهته للنّموذج اللُّغـوي؛ الـذي يتحدّث به الكبار؛ و الذي يلتزم- من خلاله - بنطق الحالات الاستثنائية نطقـا سـليما ، فالطفل -عند اقترابه من مستوى القواعد- ينخرط في معرفة الأمور الـصّرفية و النّحويـة؛ المتعلّقة بلغة الأم ،و ذلك من خلال عمليتين : تعلّم و استخدام الكـلام في الحـديث ، و استخدام المفردات من خلال التّشابه ، فالتراكيب اللُّغوية؛ التي تعلّمها يمكن أن تتعـدد عـن طريق إبدال عنصر بآخر ، غير أنّها تستقرُّ لدى الطّفل بفضل عمليّـات المراجعـة العاديّـة، بمتابعة، و تصحيح الكبار ، وكذلك التّحارب و التّمرينات؛ التي يقوم بها الطّفل نفسه ، و يصحح الطّفل الحالات الخاطئة الواحدة تلو الأخرى ، وفي هذه الحالة قد تسمع تراكيـب ينطقها الطّفل قياسا على التّشابه ، غير أنّه يرفضها على التّوازن ؛ لأنّه لا يجد لها معنى عنـد الكبار .[1]

في حين أنّ القياس الخاطئ أمر مقرٌّ في اللُّغة؛ و هو ما عبّر عنه سيبويه بالغلط ؛ حيث قال : " و اعلم أنّ أناسا من العرب يغلطون ؛ فيقولون : إنّهم أجمعـون ذاهبون، و إنّك و زيـد ذاهبان" .[2]

و علّل ابن جنّي لهذا الغلط بقوله : " إنّما يجوز هذا الغلط عندهم؛ لما يستهويهم من الشّبه ؛ لأنّهم ليست لهم قياسات يستعصمون بها ، و إنّما يخلدون إلى طبائعهم؛ فمن أجل ذلك قـرأ الحسن البصريّ ــ رحمة الله عليه ــ : (وَ مَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطُونَ)[3] ؛ لأنّه توهّم أنّـه جمـع تصحيح ؛ نحو: الزّيدون ، و ليس منه "[4].

وفُسّر الغلط -هنا- بالتّوهُّم ؛ يقول ابن هشام : " و مراده بالغلط ما عبر عنه غيره بـالتّوهُّم ...و توهّم ابن مالك أنّه أراد بالغلط الخطأ، فاعترض عليه بأنّا متى جوّزنا ذلك عليهم زالت الثّقة بكلامهم، وامتنع أن تثبت شيئا نادرا ؛ لإمكان أن يقال في كلّ نادر: إنّ قائله غلط "[5].

---

[1] التربية اللُّغوية للطّفل ٥٣ .
[2] الكتاب ٢/ ١٥٥ .
[3] الشّعراء ٢١٠ .و ينظر القراءة في المختصر في شواذ القرآن ١٠٩ حيث قرأ بها الأعمش أيضا .
[4] المنصف ١/ ٣١١ ، وينظر سر صناعة الإعراب ١/ ٣٣٠ ، الخصائص ٣/ ٢٧٦- ٢٨٥ .
[5] مغني اللبيب ٢/ ٤٧٨ .

Scanned with CamScanner

وينحصر التباين - بعد - في المخرج، إذ حدد القدماء مخرج القاف بأنه من «أقصى اللسان مع ما فوقه من الحنك اللين»، في حين تنتج القاف البدوية - كما نسمعها الآن في النطق الشائع - في نقطة قبل ذلك (الثلث الداخلي من اللسان).

ونحن - إزاء ذلك - أمام أحد احتمالين:

الاحتمال الأول: أن مفهوم «أقصى اللسان» - لدى سيبويه وجمهور من تقفّاه - كان يتسع ليشمل الثلث الداخلي منه.

وهذا الاحتمال غير بعيد، فقد جعل بعض قدامانا القاف والكاف - على ما بينهما - من «حيِّز واحد»[1]، هو - بلا شك - مؤخَّر اللسان (بما فيه أقصاه).

كما أن تحديد «أقصى اللسان» خاصة مناطًا للوصف بـ «الاستعلاء» - وهي الصفة محلّ التباين بين قاف القدماء وتلك البدوية - لم يُخصَّص على هذا النحو إلا لدى بعض المتأخرين، في حين كان مفهوم «الاستعلاء» لدى جمهور المتقدمين يعني «ارتفاع اللسان - هكذا دون تحديد - لدى النطق بالصوت»[2].

الاحتمال الثاني: أن القاف التي وصفها سيبويه ومن تقفّاه، كانت بالفعل قافًا مستعلية - بالمفهوم الدقيق للاستعلاء - تنتج بالتقاء أقصى اللسان - لا ثلثه الداخلي - باللهاة، ثم حدث أن تطورتْ بمرور الزمن، فتقدَّم مخرجها إلى الأمام قليلاً، وصارت على النحو الشائع الآن[3].

وهذا الاحتمال غير مستبعد - كذلك - وقد سمعتُ - بنفسي - تلك القاف المجهورة المستعلية (= قاف القدماء) من أحد الطلاب اليمنيين، وأخبرني بأنها شائعة في قبيلته[4] كما تحدث كانتينو عن لهجات تنطق القاف جافًا «خلفية جدًا

(١) انظر - مثلاً: تهذيب اللغة ١/٤٨، وشرح المفصّل ١٠/١٢٣-١٢٤.

(٢) تعرضت لهذا الأمر بقدر من التفصيل في البحث التمهيدي لدى الحديث عن صفة «الاستعلاء».

(٣) وانظر: د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٨٦.

(٤) هو الطالب: علي محمد محمد العفيري؛ يدرس في كلية القرآن الكريم التابعة لجامعة الأزهر بطنطا، وقبيلته هي «بَكيل».

قريبة من اللهوية»، وذكر أن من أصحاب تلك اللهجات «قسمًا هامًا (كذا) من سكان اليمن»[1]. فلعلّه يقصد تلك القاف المجهورة المستعلية.

ويبقى - بعد ذلك - سؤال زخير، هو: إذا كانت القاف البدوية مستعلية كانت أم مسفلة) هي القاف التي وصفها القدماء والمفترض بالتالي:

أن تكون هي الفصحية:

وأن تكون قراءة القرآن الكريم بها. فكيف صار الأمر - إذن - إلى قراءة القرآن الكريم بالقاف المهموسة، على نحو ما هو شائع الآن؟

ونقدِّم بين يدي محاولة الإجابة على هذا السؤال، بتقرير أن هذه القاف المهموسة الغالبة - الآن - على ألسنة قراءة القرآن الكريم هي قاف فصيحة كذلك؛ فلقد سبق أن رجّحت أنها كانت الصورة النطقية الشائعة للقاف لدى قبيلة تميم - أو بعض فروعها - وتميم «قاعدة من أكبر قواعد العرب» على حدّ تعبير ابن حَزْم[2] (ت٤٥٦هـ)، وحظّها من الوصف بالفصاحة بين قبائل العرب مقرَّر وموفور؛[3] فقراءة القرآن الكريم بها - إذن - جائزة.

ثم نقول - بعد ذلك - إنه لابد أن يكون الأمر أن «القاف البدوية» و«قاف القرّاء» استُعملتا - متزامنتين - ردحًا من الزمن في قراءة القرآن الكريم، كما تزامنتا - وما زالا - في الاستعمال الدارج:

فأما «قاف القراء»، فالأمر فيها واضح لا يحتاج إلى برهان، إذ إن شيوعها - الآن - على ألسنة القراء يُثبت - بمعيار التواتر - أصالة استعمالها في قراءة القرآن الكريم.

وأما «القاف البدوية»، فممّا يُدلّ على أنها كانت تُوظَّف - كذلك - في قراءة القرآن الكريم: ما ذكره ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) عن فقهاء أهل البيت من أنهم

(١) دروس في علم أصوات العربية ص١١٠.

(٢) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص٢٠٧.

(٣) انظر في تفصيل القول في ذلك: لغة تميم ص٥٨-٦٣، ولهجة تميم ص١٦-١٧، ص٥٤-٦٨.

Scanned with CamScanner

١. الصور النطقية للقاف

تعرّضت بعض فونيمات اللغة العربية - ومنها القاف - لضروب من «التغيرات الصوتية المطّردة». وتجسّم ذلك فى تحقُّق أكثر من صورة نطقية Allophone لكل منها فى اللهجات العربية المعاصرة.

وتتميز هذه الصور النطقية المطّردة بتماثل المعنى، وهذا هو المعيار الأهم للحكم باعتدادها صوراً نطقية لفونيم واحد، وعدم اعتدادها فونيمات مستقلة:

فالفعل «قال» - مثلاً - منطوقًا بقاف القراء المعاصرة، أو بالقاف القاهرية التى كالهمزة، أو بتلك البدوية التى كالجيم القاهرية.. يحمل فى كلٍّ معنىً واحد؛ ولذا نحكم بأن كُلاًّ من هذه «النُّطق» تجسّد صورة نطقية لفونيم واحد، هو فونيم القاف /ق/.

ويُفرَّق - عادة - فى هذا الصدد بين نوعين أساسيين من التغيرات الصوتية[1]:

- تغيرات صوتية مطلقة أو غير مقيدة unconditioned Change

والمقصود بها تلك التغيرات «التى تحدث من التحول فى النظام الصوتى للغة بحيث يصير الصوت اللغوى فى جميع سياقاته صوتًا آخر»[2].

وذلك مثل نطق الجيم المعطّشة (الفصيحة) جيمًا طبقية غير معطّشة فى (كل) كلمة تحتوى على هذا الصوت فى اللهجة القاهرية[3].

(١) انظر فى تفصيل القول فى ذلك: التطور النحوى للغة العربية ص٢٦ – ٢٨، ود. أنيس: الأصوات اللغوية ص٢٠٨-٢١١، والتطور اللغوى: مظاهره ص٢٤-٣٠.
وانظر - كذلك - :
Iehmann: historical linguistics, PP.190 - 191.

(٢) التطور اللغوى: مظاهره ص٢٤. وانظر - كذلك - التطور النحوى للغة العربية ص٢٧.

(٣) وانظر: د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٢٠٨.

- تغييرات صوتية مقيدة Conditioned والمقصود بها تلك التغيرات التى يرتبط تحققها «بتجمع صوتى معيَّن، وليست عامة فى الصوت فى كل ظروفه وسياقاته اللغوية»[1].

وذلك مثل نطق السين زايًا إذا وقعت قبل القاف (= القيد) فى لهجة قبيلة «كلب»، على ما سيُفصّل فى المبحث الثالث.

فإذا ما طبقنا هذا التقسيم على الصور النطقية لصوت القاف كما جسّده وَصْف القدماء، وكما يتجسّد فى اللهجات العربية المعاصرة، فإن الصور النطقية المطلقة لهذا الصوت تشمل ما يلى:

- القاف التى وصفها القدماء.
- قاف القراء المعاصرة.
- القاف التى كالهمزة.
- القاف التى كالكاف.

وأما الصور النطقية المقيدة فتشمل:

- القاف التى كالجيم المعطّشة (الفصيحة).
- القاف التى كالدال والزاى مركَّبين (دْز).
- القاف التى كالغين.

مع ملاحظة أن الصورة النطقية الأخيرة مقيدة بقيد ثقافى، لا بقيد صوتى، على ما سيُفصَّل فى موضعه:

* * *

(١) التطور اللغوى: مظاهره ص٤٩. وانظر - كذلك - التطور النحوى للغة العربية ص٢٧.

Scanned with CamScanner

وأقرّ د. إبراهيم أنيس أنّ القياس الخاطئ سلاح ذو حدين ؛ فهو من ناحية يعمل على اطّراد الأمور اللّغوية و انسجامها ، و من ناحية أخرى يبعد بعض الكلمات في صيغتها، أو مدلولها عن المألوف الشّائع [1].

وليس المقصود بالقياس الخاطئ، أو بناء اللّغة على التّوهُّم الخطأ ؛ لأنّ " الخطأ في غاية النُّدرة ، اكتفى العلماء فيها بالاعتماد على الكتب المشهورة المتداولة ؛ فإنّ شهرتها، و تداولها يمنع من ذلك مع ضعف الدّاعية له "[2] ؛ و ما ذلكم إلا لأنّ المجتمع يقوم بإصلاح الأخطاء؛ التي تندُّ عن أحد الألسنة ، يقول ابن جنّي : " حدّثني المتنبي شاعرنا ــ و ما عرفته إلا صادقا ــ قال : كنت- عند مسيري من مصر- في جماعة من العرب ، و أحدهم يتحدّث؛ فذكر في كلامه فلاة واسعة ، فقال : يجوز فيها الطّرف ، قال : و آخر منهم يلقّنه سرًّا من الجماعة بينه و بينه ، فيقول له : بحار بحار ، أفلا ترى إلى هداية بعضهم لبعض ، و تنبيهه إيّاه على الصّواب ."[3]

و ناقش المسألة الأستاذ محمد شوقي أمين في بحثه الموسوم بـ (تحقيق معنى بناء اللُّغة على التّوهُّم) إذ فرّق بين التّوهُّم و الوهم ؛ فمعنى التّوهُّم: تخيّل الشّيء، و تمثّله، سواء أكان في الوجود أم لم يكن ، على أنّ الخطأ، أو الغفلة، أو السّهو، و كلّ ما يتّصل بذلك في مادة (وهم) وشتّان ماين الوهم و التّوهُّم [4].

و كذلك فعل د. سيّد رزق الطّويل؛ الذي رأى أنّ " الخطأ في لسان العرب له معنًى يختلف عن معنى التّوهُّم ؛ فالخطأ بجانبة الصّواب و البعد عنه ، و التّوهُّم: حالة نفسيّة يتصوّر الإنسان معها تصوُّرات، قد تكون صحيحة ، و قد تكون فاسدة ، فإذا قلنا : إنّ فلانا يقصد بالخطأ التّوهُّم تكون جنيت على اللُّغة جناية بالغة ، و فقدت الألفاظ خصائصها في الدّلالة المحدّدة "[5].

---

[1] من أسرار اللُّغة ٤٤ .
[2] الأزهر ١/ ١٢٠
[3] الخصائص ١/ ٢٣٩ ، و ينظر ٢/ ٢٧ .
[4] تحقيق معنى بناء اللُّغة على التّوهُّم و نفي مزاعم الوهم عنه ، مجلة مجمع اللُّغة العربيّة بدمشق ، ج ٢ ، مج ٥٢ ، ص ٣٦٢ ــ ٣٦٣ .
[5] ظاهرة التّوهُّم في الدّراسات النّحويّة و التّصريفيّة ، مجلّة معهد اللُّغة العربيّة ، جامعة أم القرى ، العدد١ ، ص٩٥ ــ ٩٦ .

أمّا ما ورد عن الفصل الخاطئ ،و أنّ بعض الأدوات تلتصق بالكلمات المجاورة التصاقا شديدا، يظن السّامع معه أنّ الأداة مع ما دخلت عليه كلمة واحدة، و من ثمّ تستعمل بشكلها الجديد، فأمر لا تركن إليه النّفس ؛ لأنّ الأصل في الكلام عدم التّركيب ؛ " و العدول عن الأصل من غير دليل لا وجه له "[1].

و علّق ابن يعيش على مذهب الفرّاء في (منذ) بقوله : " و هذه دعاوى لا دليل عليها ، و الأصل عدم التّركيب "[2] . و ذكر في شرح الملوكي أنّ " هذا لا يُطّلع عليه إلا بنصّ من الواضع "[3]؛أي: أنّنا بحاجة لمعرفة النّشأة الأولى؛ التي كانت عليها اللُّغة؛ لمعرفة مدى صحة مثل هذا القول ، و هذا أمر متعذّر .

يقول باريو باي : " هناك السُّؤال الحائر؛ الذي لا يمكن الإجابة عنه ، و هو ما يتعلّق بأصل الكلام ، و هل كانت اللُّغات أساسا تحتوي على كلمات منفصلة (مورفيمات حرة) ثمّ انضمت مؤخرا بعضها إلى بعض مركبة كلمات أطول عن طريق المورفيمات المتّصلة، ثمّ بمرور الزّمن تُوسيت هذه الوحدات المستقلّة ، و نُظر إلى الكلمة على أنّها بسيطة؟"[4].

و ما ذهب إليه د. رمضان عبد التّوّاب من التّدليل على ذلك بما حدث لابنته -و هي صغيرة- أمر لا يقبل ؛ لعدم حجيّة المصدر الذي عوّل عليه .

أمّا عن واقعة اللُّثغة، فقد عرف العرب هذه الآفة، و رصدوها في تضاعيف كتبهم ، بل عدُّوها من عيوب البيان ؛ لأنّ " فقد أيّ عضو أو إصابته بأيّ صورة من صور النّقص ، لابدّ أن يؤدي إلى فقد أو نقص مقابل في البناء الكلاميّ و الأدائيّ ، و يمنع من الوصول إلى الكمال و الجمال المنشود "[5]. و هذا يعني :أنّ في لغة الألثغ صوتا واحدا يؤدّي وظيفتين، إحداهما بالأصالة عن نفسه ، و ثانيهما بالنّيابة عن الصّوت؛ الذي عجز عنه .[6]

و لخطورة هذه الآفة " طلّق أبو زمادة امرأته حين وجدها لثغاء، وخاف أن تجيئه بولد ألثغ، فقال :

---

[1] الإنصاف ١/ ١٥٠ .
[2] شرح المفصّل ١٠/ ٩٣ .
[3] ٤٢٥ .
[4] أسس علم اللُّغة ١٥٣ .
[5] الملامح الأدائيّة ٨٥ .
[6] أشتات مجتمعات ٩٥ .

Scanned with CamScanner

وحمل ابن فارس ذلك من سنن العرب؛ حيث قال : " من سنن العرب التَّوهُّم و الإبهام ، و هو أن يتوهَّم أحدهم شيئا، ثم يحمل ذلك كالحقّ "[1]. في حين يذهب السَّمين الحلبيُّ إلى أنّ المراد بالغلط هنا مخالفة القياس ؛ حيث " إنَّهم غالطون بالنِّسبة إلى عامَّة العرب "[2]. لذلك حُكم عليه بالشُّذوذ ، يقول ابن جنّي : " هذا الغلط نظائر في كلامهم ، فإذا جاءك فاعرفه؛ لتسلّمه كما سمعته ، و لا تقس عليه "[3]. و يقول أبو حيان : " العطف على التَّوهُّم لا ينقاس ، فلا يحمل عليه القرآن ما وجدت عنه مندوحة "[4]. و كذلك عدَّه ابن الأنباري " من الشَّاذ الذي لا يُعتدُّ به؛ لقلَّته و شذوذه "[5].

و ذهب الأستاذ ماجد عمر إلى أنّ الأولى في ذلك حمل كلام سيبويه على ظاهره ؛ و هو تخطئة هذه اللُّغة ، مقرِّرا أنّ رأي سيبويه- هنا- مردود عليه ؛ لأنَّها لم تصدر من فرد واحد ، قد يجري الخطأ على لسانه ، و إنَّما من جماعة؛ يستحيل أن يتفقوا جميعا على الغلط ، على أن يحتفظ لسيبويه بالفضل في نقل هذه اللُّغة .[6] في حين يعترض د . محمَّد عبد القادر هنادي على مسألة تغليط العربيِّ ؛ معلِّلا ذلك بأنّ " العربيَّ سيِّد لغته ، فكيف يُغَلَّط في كلامه ؟و إذا كنَّا نخطِّئ العربي الفصيح فممَّن نأخذ اللُّغة إذا ؟ "[7]. كما اعترض – كذلك – على وصف المنقول عن العرب بأنَّه جاءَنا عن طريق التَّوهُّم[8] .

و مهما يكن من شيء، فإنّ البناء على التَّوهُّم يُعَدُّ من فقه اللُّغة ؛ و من ذلك: ما حدث من قصَّة سماع المبرِّد لعُمارة بن عقيل بن بلال بن جرير حين قرأ : (و لا اللَّيلُ سابِقُ النَّهارَ)[9] فسأله المبرِّد : ماذا أردت ؟ قال : أردت سابقٌ النهارَ ، فقال المبرِّد : فهلَّا قلته ، فقال : لو قلته لكان أوزن ؛ أي: أقوى و أعرب .[10]

---

[1] الصَّاحبي ٣٧٧ ، و ينظر المزهر ١/ ٣٣٦ .
[2] الدر المصون ٤/ ٣٥٨ .
[3] المنصف ١/ ٣١١ ، و ينظر سر صناعة الإعراب ١/ ٣٣٠ .
[4] البحر المحيط ٤/ ٥١٥ ، ينظر ٥/ ٢٤٤ ، والخزانة ١/ ١٢٠ .
[5] الإنصاف ١/ ٣٦٨ .
[6] اللغات في الكتاب لسيبويه للسنوي النحوي ٢٢١ .
[7] ظاهرة التأويل في إعراب القرآن الكريم ٨٨ .
[8] د.شاهين
[9] يس ٤٠ و ينظر القراءة في مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ١٢٦ .
[10] الكامل ١/ ٢٢٨ ، الخصائص ١/ ٣٧٢ معجم الأدباء ٤/ ١٥٩٦ .

علَّق على هذه الحكاية ياقوت الحمويُّ ، فقال :" ففي هذه الحكاية من فقه اللُّغة ثلاثة أشياء :
أحدها : أنَّهم قد يراعون من معانيهم ما تنسبه إليهم، و تحمله عليهم .
الثَّاني : أنَّهم قد ينطقون بالشَّيء، و في أنفسهم غيره ؛ ألا ترى أنَّه لمَّا نصَّ أبو العبَّاس عليه ، و استوضح ما عنده ، قال : أردت كذا ؛ و هو خلاف ما لفظ به .
الثَّالث : أنَّهم قد ينطقون بالشَّيء، و غيره أقوى منه؛ استلانة و تخفيفا؛ ألا تراه كيف قال : لو قلته لكان أوزن ؛ أي: أقوى و أعرب ."[1]

و من ثَمَّ كان التَّوهُّم " وسيلة مهمَّة من وسائل تخريج الكلام؛ إذا جاء على غير ما يقتضيه قياسه "[2].

و فرَّق د/ إبراهيم أنيس بين قياس القدماء و قياسنا ؛ إذ رأى أنّ عملهم قد تقدَّم به الزَّمن ، و أصبح معترفا به مدَّونا في تضاعيف كتبهم، في حين يُعدُّ قياسنا الخاطئ قياسا يأباه اللُّغويون و يعدُّونه لحنا[3] .

و لعلَّ السَّبب في ذلك هو أنّ الفصحى لها ظرف خاصٌّ ؛ لم يتوافر لغيرها من لغات العالم ؛ ممَّا يجعلنا نرفض بعض ما ينادي به بعض الغافلين- عن حسن نيَّة أو سوء نيَّة أحيانا- من ترك الحبل على الغارب للعربيَّة؛ لتفاعل مع العاميَّات؛ تأخذ منها، و تعطي ، كما يحدث في اللُّغات جميعها ، و هذا الظَّرف هو كونها مرتبطة بالقرآن الكريم ، و دُوِّن بها التُّراث العربيُّ الضَّخم ، و لو تُرك الأمر على عواهنه؛ لأمست الفصحى لغة أثريَّة؛ كاللاتينية ، و لسادت اللَّهجات العربيَّة المختلفة ، و ازدادت على الزَّمان بعدا عن الأصل؛ الذي انحدرت منه[4] .

و هذا ما ذهب إليه د. حسام سعيد النَّعيمي حين ذكر أنّ التَّطوُّر؛ الذي دخل أصوات العربيَّة في لهجاتها المحلية أمر طبعي في اللُّغات ، و كان يمكن أن يكون كذلك في لغة الأدب الفصيحة لولا ما خصت به من ارتباط بكتاب الله- تعالى – ثمَّ بخلاصة تجارب أجيال متعاقبة بما يزيد على خمسة عشر قرنا من الزَّمان ؛ لتبقى اللُّغة رابطة متينة بين أبناء هذه الأمَّة[5] .

---

[1] معجم الأدباء ٤/ ١٥٩٦ .
[2] التوهُّم دراسة في كتاب سيبويه ، راشد أحمد حمزاوي ، المجلَّة العربيَّة للعلوم الإنسانية ، ع ٦٦ ، السَّنة ١٧، عام ١٩٩٩م ، ص ١٠٧ .
[3] من أسرار اللُّغة ٤٤
[4] التَّطوُّر اللُّغوي ١٢-١٣.
[5] أصوات اللُّغة وقدمها و مستقبلها ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج ٢-٣ ، مج ٢٨ ، ص ٣٠٤ .

Scanned with CamScanner

فجعل ارتفاع «أقصى اللسان» خاصة - لاجرْمه كله - هو مناط الوصف بـ «الاستعلاء» بقول «ساجُقْلى زاده» - ت ١١٥٠هـ - مثلاً: «الاستعلاء: أن يستعلى أقصى اللسان عند النطق بالحرف إلى جهة الحنك الأعلى»[١]. وبرهن على ذلك بأن أصوات الجيم والشين والياء والكماف لم توصف بأنها «مستعلية»، على الرغم من «استعلاء» وسط اللسان لدى نطق الثلاثة الأول، و«استعلاء» ما بين أقصى اللسان ووسطه لدى نطق الصوت الأخير (الكاف)[٢].

وأما الأصوات «المستفلة»، فتشمل باقى الأصوات، أى كل ماعدا المجموع فى عبارة «خص ضغط قظ». وقد لُقِّبتْ بذلك؛ لأن اللسان - أو أقصاه كما خصص بعض المتأخرين - لا يستعلى لدى النطق بها، بل «يتسفّل» فى قاع الفم[٣].

(الإطباق/الانفتاح)

المقصود بـ«الإطباق» - كما يتبدّى من كلام سيبويه - هو ارتفاع أقصى اللسان، وكذلك طرفه، لدى النطق بأصوات الصاد والضاد والطاء والظاء، بحيث «يكون الصوت محصوراً فيما بين اللسان والحنك»[٤]. فلهذه الأصوات - إذن - «موضعان من اللسان» - على حدّ تعبير سيبويه -:[٥] أقصاه، وطرفه.

وأما «الانفتاح»، فهو - بالمقابلة - عدم ارتفاع أقصى اللسان وطرفه لدى النطق بالصوت، أى «اتفتاح» المسافة بين جرْم اللسان والحنك الأعلى[٦].

---

(١) جهد المُقلّ ص٦٥. وانظر فى تتبع تعيين ارتفاع «أقصى اللسان» خاصة تجاه الحنك اللين سبباً فى الوصف بالاستعلاء: العنصر فى أصوات اللغة العربية ص٧٤ (هامش الصفحة).

(٢) انظر: جهد المُقلّ ص٦٦-٦٧. وانظر - كذلك - الشيخ محمد مكى نصر: نهاية القول المفيد فى علم التجويد ص٥٢.

(٣) انظر - مثلاً - التحديد فى الإتقان ص٢٢٨، والمساعد على تسهيل الفوائد ٤/٢٤٧، ولطائف الإشارات ١/١٩٨.

(٤) الكتاب ٤/٤٣٥. وانظر - كذلك - الأصول فى النحو ٣/٤٠٤، وسر الصناعة ١/٦٦، والرعاية لتجويد التلاوة ص١٢٣، وأسرار العربية ص٤٢٤.

(٥) الكتاب ٤/٤٣٥.

(٦) انظر: الرعاية لتجويد التلاوة ص١٢٣، وأسرار العربية ص٤٢٤، ولطائف الإشارات ١/١٩٨.

والأصوات «المنفتحة» هى كل ما عدا «المطبقة»، أى كل ما عدا: الصاد والضاد والطاء والظاء.

ويتبين لنا - بعد - ما يلى:

- أن مفهوم «الإطباق» أعمّ من مفهوم «الاستعلاء» لدى قدامانا؛ لأن «الإطباق» يستلزم ارتفاع طرف اللسان - فضلاً عن أقصاه - وارتفاع أقصى اللسان هو مناط الوصف بـ«الاستعلاء»؛ فكل صوت مطبق هو مستعل بالضرورة، والعكس غير صحيح: فالخاء - مثلاً - مستعلية؛ لأنها تنتج بارتفاع أقصى اللسان تجاه الحنك اللين ولكنها غير مطبقة (منفتحة) لعدم ارتفاع طرف اللسان - كذلك - لدى النطق بها[١]؛ «فالأطباق فى اللغة العربية نوع من الاستعلاء»[٢].

- أن مفهوم «الطَّبَقيّة» - لدى المحدثين - أعمّ قليلاً من مفهوم «الاستعلاء» لدى قدامانا؛ فـ«الطبقية» تعنى مشاركة أىّ جزء من مؤخرّ اللسان فى إنتاج الصوت، فى حين أن «الاستعلاء» يعنى مشاركة أقصى اللسان خاصة فى ذلك، كما دقّق بعض المتأخرين.

- أن مفهوم «الإطباق» لدى المحدثين يكاد يتطابق مع مفهومه لدى قدامانا؛ من حيث اتفاق كلٍّ على أن الاتصاف بتلك الصفة يقتضى مشاركة مزدوجة من كلٍّ من مؤخر اللسان عامة - أو أقصاه خاصة - مع طرفه فى إنتاج الصوت.

•••

---

(١) وانظر: جهد المُقلّ ص٦٧-٦٨، ونهاية القول المفيد ص٥٩.

(٢) برجشتراسر: التطور النحوى للغة العربية ص٢٦. وانظر - كذلك -: دروس فى علم الأصوات العربية ص٣٦-٣٧.

Scanned with CamScanner

«زعموا أنّ مَنْ قرأ فى أم الكتاب: اهدنا الصراط المستقيم بغير القاف التى لهذا الجيل (يقصد: القاف البدوية) فقد لحَنَ وأفسد صلاتَه»[1].

فهذا النَّص يشير إلى أن «القاف البدوية» كانت توظَّف - بالفعل - فى قراءة القرآن الكريم؛ وهذا مما يُثبت أصالتَها فى هذا المجال احتكامًا إلى معيار «التواتر» أيضًا.

بل يُشير النَّص - كذلك - إلى أن هناك من كان «يتعصّب» لاستعمال هذه «القاف البدوية» فى قراءة القرآن الكريم، إلى حَدّ «الزعم» بأن النطق بغيرها - والمقصود طبعًا هو قاف القراء المهموسة - يُعَدّ ضربًا من «اللحن» المفضى إلى «إفساد الصلاة».

وإزاء هذا «التعصُّب» لاستعمال «القاف البدوية» - دون قاف القرّاء المعاصرة - فى قراءة القرآن الكريم، وُجِد من يقول بنقيض ذلك تمامًا؛ فالقَسْطَلاّنى (ت٩٢٣هـ) يذكر أن شيوع القاف البدوية على ألسنة أهل البوادى قد أدَّى أن «توهّم بعضُهم أن العرب كانوا يقرأون بها (أى: بالقاف البدوية)، لكن الظاهر أن القرآن لم يُقرأ إلا بالقاف الخالصة (= قاف القراء المعاصرة)، على ما نَقَلَه الأثباتُ متواترًا، ولو قُرِئ بالمعقودة (يقصد: القاف البدوية) لنُقِل ذلك كما نُقِل غيره، ولما لم يُنْقَلْ دلّ على أنه لم يُقْرَأ بها»[2].

نخلص من ذلك - إذن - إلى ما سبق أن رجّحته من تزامن استعمال القافين: البدوية وقاف القراء المعاصرة فى قراءة القرآن الكريم[3] والراجح أنه كان لكل من القافين مواطنه التى يذيع فيها.

(١) مقدمة ابن خلدون ٣/١٢٨٣-١٢٨٤. والمقصود بـ«الجيل» قبائل البدو. وقد ذكر د/ ضاحى عبد الباقى أن إمامًا حضرميًّا لأحد مساجد جدة (عامى ١٩٧٤-١٩٧٥) كان يلتزم بالقاف البدوية فى قراءته، وعلّق د. ضاحى على ذلك بقوله: «فلعله شيعى». انظر: لغة تميم ص١٠٣.

(٢) لطائف الإشارات ١/١٥٨.

(٣) وانظر: د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٨٧، وعلم الأصوات ص٢٨١-٢٨٣.

وينبغى بعد ذلك البحث عمّا أدّى إلى غلبة قاف القراء المعاصرة تمامًا، وتاريخ حصول ذلك، وهو أمر يحتاج إلى مزيد بحث، وإلى عمل مستقلّ يُفرد له.

١٠٥. التفسير الصوتى لصور القاف النطقية:

إذ سلمنا بما قرره الدرس اللغوى المقارن من أن قاف القراء المهموسة (q) تجسِّد الأصل السامى القديم لفونيم القاف، فإنه يمكن تفسير ما آل إليه هذا الصوت من صور نطقية متعددة Allophones فى ضوء القول - ترجيحًا[1] - بتعرضه لنوعين أساسيين من التغير: تغيُّر تعلّق بمخرجه، وآخر تعلّق بصفاته.

فأما التغير فى المخرج، فيحصل - عمومًا - «بأحد طريقين: إما بانتقال المخرج إلى الوراء، أو إلى الأمام، باحثًا الصوت فى انتقاله عن أقرب الأصوات شبهًا به من الناحية الصوتية»[2].

وفى ضوء ذلك، يمكننا القول - ترجيحًا - بأن صوت القاف قد شهد انتقالين مخرجين أساسيين: أحدهما للأمام، والآخر للخلف:

فانتقال القاف إلى الأمام قليلاً قد أنتج صورته النطقية التى تُشبه الكاف؛ إذ لا فرق بين قاف القراء المعاصرة (= الأصل القديم) والكاف، إلا أن تلك القاف أعمق قليلاً (= مستعلية)، مع اتفاقهما فى صفة الهمس.

وأما انتقال القاف إلى الخلف، فقد أنتج صورته النطقية المماثلة للهمزة، «فتعمُّق القاف فى الحَلْق عند المصريين لا يصادف من أصوات الحَلْق ما يُشبه القاف إلا الهمزة؛ لوجود صفة الشدّة فى كلّ منهما؛ فليس غريبًا - إذن - أن تطورت القاف فى لغة الكلام عندنا إلى همزة، فليس بين أصوات الحق صوت شديد إلا الهمزة»[3].

(١) تتميز التفسيرات والعلل الصوتية بأنها - فى مجملها - ترجيحية «فإننا لا نعلم عِلَلَ تغيرات النطق علمًا بيّنًا يقينًا إلا فى قليل من الحالات» على حد قول برجشتراسر (التطور النحوى للغة العربية ص٢٧).

(٢) د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٨٧.

(٣) د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٨٧. وانظر - كذلك - ممن تبنوا هذا التفسير: د. رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات فى اللغة ص١٢.

Scanned with CamScanner

وقد عزا «برجشتراسر» السبب فى التحوّل من النطق بالقاف إلى النطق الهمزة إلى علّة حضارية هى «ذوق العصر»، ذاهبًا إلى أن أهل القاهرة قد «استخشنوا» صوت القاف، و«استغلظوه» فاستبدلوا به الهمزة[1] كما ذهب «كانتينو» إلى أن اللهجات التى شاع فيها نطق القاف همزة تتميز بأنها «لهجات مدنية فى أكثرها»[2].

وقد يُعترض على ذلك - لا سيما كلام برجشتراسر - بما هو مقرَّر فى الدرس الصوتى المعاصر من أن الهمزة هى «أشقّ الأصوات»[3]؛ لما تتطلبه - لدى نطقها - من انضغاط الوترين الصوتيين انضغاطًا ثم انفراجهما. وقد كان هذا مما أدّى إلى سقوطها من معظم اللهجات العربية المعاصرة (وبعض اللهجات القديمة)، فالقول بـ«استخشان» القاهريين لصوت القاف، و«استغلاظهم» إياه، لا يسوغ معه استبدال صوت كالهمزة به.

وأما التغير الذى يتعلق بالصفات، فيتمثّل فى فقدان قاف القراء المعاصرة (= الأصل القديم) لصفة الجهر، مما أدّى إلى تولُّد الصورة النطقية المجهورة للقاف ممثَّلة فى القاف البدوية[4]:

- مع عدم حدوث تغيُّر فى المخرج - تقريبًا - إذا سلَّمْنا بأن القاف البدوية كانت مستعلية.

- ومع تزحزح محدود إلى الأمام إذا سلمنا بأن النطق البدوى المعاصر يمثل القاف البدوية.

هذا مع اتفاق قاف القرّاء وتلك البدوية فى أن كليهما وَقْفى (شديد).

ومن هذه القاف البدوية المجهورة التى شاعت لدى العرب شيوعًا، تولّدت

(١) انظر: التطور النحوى للغة العربية ص٢٨.
(٢) دروس فى علم أصوات العربية ص١٠٩.
(٣) انظر - مثلاً: د. انيس: الأصوات اللغوية ص٩١، والتطور اللغوى: مظاهره ص٧٦.
(٤) وانظر: التطور النحوى للغة العربية ص٢٦، ود. أنيس: الأصوات اللغوية ص٢٠٩.

ترجيحًا، الصور النطقية الأخرى للقاف بحصول تغير فى الصفة، أو فى المخرج:

فالتغير فى صفة «الشدّة» ولّد القاف التي كالغين؛ إذ لا فرق بين القاف البدوية - خاصة تلك المستعلية - وبين الغين، سوى فى أن القاف البدوية وقفية (شديدة)، وأن الغين احتكاكية (رخوة).

والتغير فى المخرج بالانتقال إلى الأمام قد ولّد الصورتين النُّطقيتين الأخيرتين للقاف: تلك التى كالجيم المعطشة، والأخرى التى كالدال والزاى (دْز).

وقد سبق أن ذكرتُ أن هاتين الصورتين النطقيتين مقيدتان بقيد صوتى موقعى، هو «مجاورة صوت لين أمامى»؛ وهذا ما يُمكِّن من تقديم تفسير صوتى لوجودهما:

فالدرس الصوتي المعاصر يقرر أن للصوائت تأثيرًا - بالتقديم أو بالتأخير - على مخارج الصوامت المجاورة لها، فالصوائت الأمامية - مثلاً - تجذب مخارج الصوامت السابقة لها إلى الأمام قليلاً[1]. وقد توصَّل علماء الدرس اللغوى المقارن - بهذا الصدد - إلى ما سمّوه بـ(قانون) الأصوات الحنكية Palatal Law؛ حيث لاحظوا - من خلال دراستهم للأصول الإغريقية واللاتينية لبعض الألفاظ الأوربية الحديثة - «أن أصوات أقصى الحنك، كالكاف والجيم الخالية من التعطيش (كالقاف البدوية) تميل بمخرجها إلى نظائرها من الأصوات الأمامية حين تليها فى النطق حركة أماميّة كالكسرة؛ لأن هذه الحركة الأمامية - فى مثل هذه الحالة - تجتذب إلى الأمام قليلاً أصوات أقصى الحنك، فتنقلب إلى نظائرها من أصوات وسط الحنك، ويغلب أن تكون هذه الأصوات الجديدة من النوع المزدوج، أى: الجامع بين الشدة والرخاوة»[2].

(١) وانظر - فى تفصيل ذلك: د. الخولى: الأصوات اللغوية ص٢١٢ - ٢١٤.
(٢) التطور اللغوى: مظاهره ص١٣٢. وانظر - كذلك: الأصالة العربية فى لهجات الخليج ص١٥٢. وانظر - فى تفسير تولّد الجيم الفصيحة المعطّشة من الجيم القاهرية فى ضوء ذلك القانون: د. انيس: الأصوات اللغوية ص٨٠ - ٨٤. وانظر أمثلة لذلك من اللغات الأوربية فى: ماريوباى: أسس علم اللغة ص١٤٤ - ١٤٥.

Scanned with CamScanner

ومن أمثلة فى اللهجة الكويتية: قولهم:

جليب (بالجيم المعطشة)	بدلاً من	قَليب
جريب (بالجيم المعطشة)	بدلاً من	قريب
ريج (بالجيم المعطشة)	بدلاً من	ريق
طريج (بالجيم المعطشة)	بدلاً من	طريق... إلخ

ومن أمثلته فى اللهجة الإماراتية: قولهم[٢]:

جاسم (بالجيم المعطشة)	بدلاً من	قاسم
الشارجه (بالجيم المعطشة)	بدلاً من	الشارقة
جليب (بالجيم المعطشة)	بدلاً من	قَليب

وقد ثَبَتَ - بالدراسة - أن «القافات» التى تشتمل عليها الأمثلة السابقة - ونحوها - تكون غالبًا - مسبوقة أو متلوَّة بصوت لين أمامى Front Vowel قصير أو طويل[٣] (كسرة قصيرة أو طويلة - فتحة مرقّقة...)؛ فهذا يعنى أن تلك الصورة النطقية للقاف صورة مقيدة، وليست مطلقة. مع ملاحظة أن ثمة بعض الأمثلة (القليلة) التى لم تنطق على هذا النحو، على الرغم من تحقُّق البيئة الصوتية المفضية إليه، ونُطِقت - بدلاً من ذلك - بالنطق الشائع[٤] (القاف البدوية).

١ - ب - ٢: القاف التى كالدال والزاى المركّبين (دْز)

تُشبه هذه الصورة النطقية الأخيرة - والأقلّ انتشارًا - نطقَ صوتى الدال والزاى مركّبيْن (دْز)؛ فهى - إذن - مَزْجُ صوتٍ وقفىّ (الدال) يتلوه - تَوًّا - آخر - احتكاكىّ (الزاى).

(١) انظر: د. مطر: خصائص اللهجة الكويتية ص٢٦ - ٢٧.

(٢) انظر: معجم الألفاظ العامية فى دولة الإمارات ص٥١٧، ٥٣٧.

(٣) انظر: دراسات فى لهجات شرقى الجزيرة العربية ص١٠٢، ١٠٧، والأصالة العربية فى لهجات الخليج ص١٥٢، وخصائص اللهجة الكويتية ص٢٦، ٢٩، ودراسة صوتية فى لهجة البحرين ص٤٨ - ٤٩.

(٤) انظر: دراسات فى لهجات شرقى الجزيرة العربية ص١٠٢ - ١٠٣.

وعلى ذلك، فإنه يُمكن تحديد الملامح التمييزية لهذه الصورة النطقية كما يلى:

المخرج: التقاء مقدَّم اللسان بلثة الثنايا العليا (= لثوية).

الصفات: مركَّبة (مَزْجية).

- مجهورة.

- مستفلة.

وتتحقّق هذه الصورة النطقية فى لهجة بعض قدامى أهل الرياض ونواحيها، وذلك مثل قولهم[١]:

دْزِليب	بدلاً من	قَليب
دْزِبله	بدلاً من	قِبْلة
إبريدْز	بدلاً من	إبريق
عادْزِل	بدلاً من	عاقل
عَدْزِب	بدلاً من	عَقِب... إلخ

وقد وُجِد - بالدراسة - أن «قافات» الأمثلة السابقة - ونحوها - تأتى مجاورة لصوت لين أمامى[٢] كما هو الشأن - تقريبًا - فى «قافات» الصورة النطقية السابقة (الجيم المعطشة)؛ وهذا يعنى أن الصورة النطقية (دْز) صورة مقيدة - كذلك - وليست مطلقة.

(١) انظر: دروس فى علم أصوات العربية ص١١١، والتطور اللغوى: مظاهره ص٥١، وبحوث ومقالات فى اللغة ص١٠، ودراسات فى لهجات شرقى الجزيرة ص٥٥، ود. حلمى أبو حسن: لهجة القصيم: دراسة لغوية ص١٥٥.

(٢) انظر: دراسات فى لهجات شرقى الجزيرة العربية ص٥٤، والتطور اللغوى: مظاهره ص٥١.

Scanned with CamScanner

هذا العصر ونرتبط به ونصبح جزءاً منه بالمشاركة والإنجاز والعطاء فإن علينا أن نتخلص من هذه الفصحى العتيقة التى بليت من طول ما عاشت، حينما كانوا يعلموننا هذا كانوا يعلمون أبناءهم هناك أنهم لكى يحيوا ويعيشوا ويصبح لهم كيان وحياة ووجود متميز لابد أن يتمسكوا بهذه اللغة العبرية المقدسة، ويعيشوا بها ولها حديثًا وأدبا وعلما ومعرفة وفنا.

أما إذا ما أصر العرب على أن تبقى هذه اللغة الفصيحة فعليها أن تجدد شبابها بالانفتاح على الكتاب المقدس الذى شهد ترجمات متعددة إلى العربية على يد المستشرقين اليهود منذ بداية عصر الاستشراق، ففى هذا الكتاب طاقات تعبيرية وتصويرية وشعرية هائلة. وقد كان بول كراوس يرى أن كل نصوص الكتاب المقدس شعر وليست نثراً، ومن «أجل ذلك راح يتلمس تلاوة صوتية خاصة لهذه النصوص، حتى تلتئم ونظريته هذه فى أنها نظم وليست نثراً[١٩]، فعلى شعرائنا وأدبائنا إذن أن ينهلوا من هذا المعين العذب، بدلاً من الارتواء من معين الصحراء. وقد أتت هذه الدعوة أكلها فى الشعر الحديث بشكل واضح.

•••

الهوامش

(١) ثلاثون عامًا مع الشعر والشعراء: رجاء النقاش - ص٤٩٥، ط أولى - دار سعاد الصباح ١٩٩٢م.

(٢) موسوعة المستشرقين - د/ عبد الرحمن بدوى - ص٤٦٦ - ط. ثالثة - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٩٣م.

(٣) قال الأستاذ رجاء النقاش فى هامش ص٤٩٥: «ما زالت شخصية «بول كراوس» وأسباب انتحاره من الأمور الغامضة التى لم يقطع فيها أحد الباحثين برأى يقينى، وأقرب علمائنا الأحياء القادرين على تقديم معلومات دقيقة حول «بول كراوس» هو الدكتور عبد الرحمن بدوى الذى كان تلميذاً وصديقًا للمستشرق اليهودى.

(٤) الإسرائيليات فى الغزو الفكرى: د/ عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) - ص٦٥ - معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٥م.

(٥) موسوعة المستشرقين - مرجع سابق - ص١٣٦.

(٦) الغارة على العالم الإسلامى: أ.ل شاتليه - ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد الباقى - ص٢٢. المطبعة السلفية بالقاهرة.

(٧) الأدب الإسلامى ضرورة: د/ أحمد محمد على، ص٦٠، رابطة الجامعات الإسلامية - دار الصحوة - ١٩٩١م. عن الموسوعة الثقافية - دار الشعب بمصر.

(٨) الإسرائيليات فى الغزو الفكرى - مرجع سابق - ص٦٠.

(٩) المشروع الفكرى لسلامة موسى - د/ محمد عمارة - الحلقة الرابعة الحياة اللندنية - ١٣/٥/١٩٩٤م. عن: تطور الوعى القومى فى المغرب العربى - محمد عابد الجابرى.

(١٠) عن بحث: التحدى الثقافى الإعلامى - د/ عائض يوسف صوفان - منشور ضمن: وقائع ندوة التحديات الحضارية والغزو الثقافى لدول الخليج العربى - مسقط ١٤٠٥/١٩٨٥ - ص٢٧٥.

Scanned with CamScanner

في ترجماته العبرية؟ ولكن هكذا رأى المستشرق اليهودى، ولم يكن الرجل معها للعرب كما توهم الدكتور عبد العزيز الأهوانى فشهادة الدكتور عبد الرحمن بدوى التى طلبها رجاء النقاش [٣] تميل إلى أنه كان عضواً فى عصابة «اشترن» الإرهابية اليهودية، والشاهد هنا كان وثيق الصلة به منذ وصوله إلى مصر حتى انتحاره [١٩٣٦ - ١٩٤٤]، ولك بعد ذلك أن تفهم حقيقة الدور الذى كان يؤديه فى قسم اللغة العربية بكلية آداب القاهرة.

ولم يكن «بول كراوس» أول يهودى ولا آخر يهودى يتصدى لتدريس اللغة العربية فى جامعة القاهرة فى إطار «علم اللغات السامية ودرسها المقارن» تقول بنت الشاطىء: «فى جلينا كان المستشرقون اليهود يأخذون أماكنهم فى قدس الجامعة المصرية، أساتذة فى كلية الآداب، يعلموننا فقه اللغات السامية ودرسها المقارن، وتتولى أكبر دور النشر المصرية إخراج دروسهم مطبوعة إلى مجال التأثير العام»[٤]، ولم يكن لأسلافنا عهد بهذا العلم، ولا معرفة به. وقد برع اليهود فى هذا العلم، وسخروه لخدمة أهدافهم، ويكفي أن ترتكز الساميات كلها (أعرافًا ولغات) على نص فى الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين[٥] لتعرف صبغته اليهودية.

ولم يكتف هؤلاء اليهود - وغيرهم من المستشرقين - بتدريس اللغة العربية، بعد أن دخلوا إليها من باب «اللغات السامية» وإنما تصدوا لتدريس مختلف فروع التراث الإسلامى العربى، فى الجامعات الغربية والشرقية على السواء، وعلى يد هؤلاء تلقى الآلاف من أبناء العرب والمسلمين دروس اللغة والأدب والفقه والتاريخ والفلسفة وعلم الكلام ومختلف العلوم والمعارف الإسلامية.

لكن تدريس هؤلاء للعقيدة والشريعة قد يجد نفوراً من الناس، فليس من المعقول ان اتعلم العقيدة أو التفسير أو الحديث أو الفقه والأصول على يد نصراني أو يهودى، خصوصًا إذا كانوا من رجال الدين، وكثير من المستشرقين كذلك.

لكن تدريس اللغة العربية يمكن ان تخف حدة النفور فيه أو تتلاشى، وربما لهذا كان تركيزهم على اللغة العربية ونصوصها وعلومها. وقد لخص المستشرق الفرنسى «يومستل» [١٥٠١م - ١٥٨١م] قيمة معرفة المسيحيين للغة العربية فيما يلى:

١ - لما كانت اللغة العربية لغة عالمية، فإن معرفتها تفيد فى العلاقات مع المغاربة والمصريين والشوام والفرس والأتراك والتتار والهنود.

٢ - اللغة العربية كتبت بها مؤلفات عديدة جداً مفيدة.

٣ - من يملك ناصية اللغة العربية يستطيع أن يبقر بطون أعداء الدين المسيحى بسيف الكتب المقدسة، وأن يفنى عقائدهم بواسطة عقائدهم هم»[٦].

ومن المعروف أن اللغة العربية ارتبطت فى تاريخها الطويل بالقرآن الكريم ارتباطًا وثيقًا، وأن علوم اللغة والأدب بمختلف فروعها قامت حول هذا الكتاب.

ومن البدهيات أنه لولا القرآن الكريم لما كانت اللغة العربية قد بقيت حتى الآن ولارتباط اللغة العربية بالقرآن خرجت من جزيرة العرب، ووصلت إلى كل مكان وصل الإسلام إليه، وأصبح أبناء الأمم الأخرى من جنود هذه اللغة، يبدعون فيها، ويحمونها ويدافعون عنها. وكما وحد الإسلام قلوب المسلمين وحّدت اللغة ألسنتهم، وبهذا أصبحت اللغة منتشرة فى القارات الثلاث آسيا وإفريقيا وأوربا وهو العالم المعروف آنذاك، وأصبح الإبداع العربى يشمل ما أبدع المسلمون بالعربية مهما اختلفت ألوانهم وأعراقهم، وهؤلاء لم يعرفوا العربية بدون الإسلام، ولم يعرفوا الإسلام بدون العربية وحتى الأمم التي كانت صلتها بالعربية محدودة لقلة الجنس العربى فيها، كتبت لغاتها بالحرف العربى، وقد وصل عدد اللغات واللهجات التى تكتب بالحرف العربى إلى نيف وثلاثين لغة منتشرة فى القارات الثلاث.

ومن أجل هذا ارتبط تعليم اللغة العربية والأدب العربى فى تاريخه الطويل

Scanned with CamScanner

فصل فى هدم اللغة العربية

(عزل اللغة عن القرآن الكريم)

حينما انتحر الشاعر اللبنانى المسيحي خليل حاوى فى ١٩٨٢/٦/٢٠ كتب الناقد رجاء النقاش مقالاً تحت عنوان: «**انتحار شاعر كبير**»، استهله بقوله: «فى أوائل الأربعينات انتحر فى مصر مستشرق يهودى، كان يعمل أستاذاً للأدب العربى فى جامعة القاهرة، وكان هذا المستشرق واسمه «**بول كراوس**» محبوباً من تلاميذه، وأصدقائه الكثيرين فى مصر؛ ذلك لأنه كان محبا للعرب، مؤيداً لقضيتهم، واسع المعرفة بالتراث العربى، وكان إنساناً بالغ الرقة، عميق العاطفة، وقد حدثنى عنه أستاذى الأديب العالم المرحوم الدكتور **عبد العزيز الأهوانى**، وكان الأهوانى معروفًا بعلمه ووطنيته وصدق عروبته، ولذلك كان حديثه عن المستشرق اليهودى عندى موضع ثقة، وقد قال لى الأهوانى: إن السبب الرئيسى فى انتحار «**بول كراوس**» هو إصرار اليهود على إقامة دولة إسرائيل، وكان «**بول كراوس**» يعارض قيام إسرائيل، ويرى في ظهور هذه الدولة خطراً كبيراً على العرب واليهود معًا، وقد توقع إذا ما قامت دولة إسرائيل أن يصبح بقاؤه فى مصر صعباً، وكان قد أحب مصر، وأحب تلاميذه وكتبه فيها، فاعتبر أن حياته فقدت معناها وانتحر محتجًا»[1].

و«**بول كراوس**» هذا عين مدرسًا فى كلية الآداب بالجامعة المصرية سنة ١٩٣٦م بترشيح من المستشرق «**ماسينيون**»، وكانت الجامعة العبرية قد عرضت عليه أن يدرس بها، ولكنه آثر التدريس فى قسم اللغة العربية بآداب القاهرة وكان «كراوس» يدرس لمرحلتى الليسانس والماچستير، وكانت محاضراته لطلاب الدراسات العليا تدور حول التراث اليونانى فى اللغة العربية، وقراءة بعض النصوص العبرية فى الكتاب المقدس وشرحها[2].

ولست أدرى ما علاقة اللغة العربية بالكتاب المقدس فى نصه العبرى، أو حتى

Scanned with CamScanner

الكتاب، فنحن منبوذون ومضطهدون ومسحوقون فى هذا النظام الذى قرره «إيجال آلون».

وظهرت هذه الشكوى على صفحات الجرائد، وأثارت ضجة كبيرة، وقال آلون: أنا مستعد للإجابة على أسئلة هؤلاء الشباب فى ندوة إذاعية تعقد كل ١٥ يومًا إلى أن يقنعونا أو يقتنعوا هم.

تبعت هذه الندوات، مناقشة حامية جداً جداً فى منتهى الحدة، فكان الرجل يقول لهم: نحن هنا في هذا البلد، وحجتنا الوحيدة فى عمل كل ما عملناه من عنف إقامة دولة التوراة، فإذا أحللنا فى الأدب العبرى محل التوراة كلاماً مستوردا من تشيكوف ومن ديستويفسكى ومن كافكا ومن فيكتور هوجو ومن شكسبير فكاننا بعنا الصك الوحيد الذى نملكه لنقول إننا هنا بحجة تاريخية معينة. وسنشبه أناسا آخرين مستعمرين أوروبيين جاءوا واحتلوا فلسطين، وهذه التهمة توجه إلينا حتى ومعنا التوراة، فما بالكم إذا فقدناها.

ثم إن الحرف الذى كتب به موسى شريعته أنا لا أسمح أبدا أن يتبذل فى وصف المواخير، وفى وصف عورات النساء والرجال تحت ستار الأدب الحديث، فالكلمة العبرية لها قدسية، وهى التى يجب أن نعيش بها، ولأجيال طويلة حتى يصبح لهذه الدولة تاريخ؛ لأنها حتى الآن ليس لها تاريخ، وتاريخها كله أقل من عمر إنسان واحد، وبالتالى فأنتم منفيون من مائدة الأدب العبرى إلا أن تكون هناك ظروف أخرى تسمح باستقرار تقاليد تراثية معينة، وبعد هذا يخرج عليها من شاء، أما الآن فهذه حركات هدامة لن أسمح بها، وقالها أكثر من مرة، واستغرق الحوار أكثر من ثلاثة أشهر فى ست ندوات، كانت كل ندوة منها تستمر ساعة فى الإذاعة، والرجل مصرٌ على هذا، ويقول لهم: أنتم ما عندكم وعى تاريخى لقدسية اللغة التى تستعملونها، أنتم تجرونها فى أوحال أوروبا وعلى ثلوج أوروبا، وتجدونها فى موبقات أوروبا، فى المارجوانا وفى الحشيش وفى الخمور وفى الإباحية

المختلفة. بينما نحن مازلنا نريد أن نقيم تراثنا لهذا المجتمع الذى لم يتجاوز عمره عمر شاب (وقتها كانت دولة إسرائيل عمرها ٢٠ سنة)[١٦].

وأنا هنا تعمَّدت أن أنقل هذا الكلام على طوله لأهمية، ولنعرف الفرق بين موقفنا من لغتنا الحية، وموقفهم من لغتهم الميتة، اللغة هناك مقدسة، ولا يسمح لأحد تلويثها باسم الحداثة والعصرية والمذاهب الجديدة، واللغة هنا لابد أن تدنَّس على يد دعاة الحداثة والعصرية والمذاهب الجديدة، والموقف هناك صارم أمام أى خروج على هذه اللغة المقدسة، لأن القضية قضية مجتمع ودولة وأمة تريد أن يكون لها كيان متميز، والموقف هنا مائع أمام هذه الموجات المتعاقبة من تدنيس اللغة وهتك عرضها، وتفكيكها وتدميرها من خارج ومن داخل.

وحينما اقتضت الضرورة هناك سنَّت القوانين الصارمة لحماية اللغة، فاللجنة التى تشكلت لتطوير اللغة العبرية وتعزيزها تحولت عام ١٩٥٣ إلى مجمع لغوى، و سجل المجمع بقانون، وأعطى القانون «السلطة للجميع فى أمور النحو و"-: حة والمصطلحات، وبذا أصبح لزاما على جميع المؤسسات والهيئات التعليمية والدوائر الحكومية والبلدية التقيد بقرارات المجمع وإنتاجه»[١٧].

ومما ينبغى التنبيه إليه أن اللجنة فى بداية تشكيلها كانت قد «قررت بالإجماع عدم اقتراض أية كلمة من أية لغة أوروبية حتى ولو كانت دارجة فى الاستعمال»[١٨].

وهكذا قام اليهود بدورين متناقضين (بل متكاملين) فى وقت واحد وفى منطقة واحدة، فبالقدر الذى كانوا يباعدون فيه بين اللغة العربية والأدب العربى وبين القرآن الكريم كانوا يرفضون رفضًا قاطعًا أى مساس بقدسية اللغة العبرية، وارتباطها هى والأدب العبرى بالتوراة.

وحينما كانوا يعلموننا فى معاهد العلم العصرية وخارجها أننا لكى نعيش فى

Scanned with CamScanner

١-ب-٣. القاف التى كالغين (لا)

تشبه هذه الصورة النطقية للقاف صوت الغين (لا)؛ وهذا يعنى أنها تتسم - تقريبًا - بالملامح التمييزية التالية[١]:

المخرج: اقتراب أقصى اللسان من اللهاة - أو أقصى الحنك اللين - اقترابًا شديدًا، بحيث يحتك الهواء بهما فى نقطة اقترابهما منتجًا الصوت (الهوى / طبقىّ).

الصفات: احتكاكية (رخوة).

- مجهورة.

- مستعلية.

ولا تتحقق هذه الصورة النطقية للقاف إلا فى مناطق محدودة من عالمنا العربى المعاصر، وتفى عدد غير كبير من الكلمات.

ومن تلك المناطق:

- شرق السودان وشماله: وقد لاحظ د. عابدين أن هذه النطق للقاف «يتجلّى - عادة - عندما يحكى السودانى القاف الفصيحة، كأن يتلو نصًّا فصيحًا، أو يُعبِّر بكلام فصيح»[٢] ومن أمثلة ذلك: قولهم[٣]:

الاستغلال	بدلاً من	الاستقلال
لغـــاء	بدلاً من	لقـــاء
اغتصادى	بدلاً من	اقتصادى
انتـغلت	بدلاً من	انتقلت... إلخ

(١) انظر: د. انيس: الأصوات اللغوية ص٨٨-٨٩، ومناهج البحث فى اللغة ص١٢٩، ودراسة الصوت اللغوى ص٣١٨، د. بشر: علم الأصوات ص٣٠٣، ود. السعران: علم اللغة - مقدمة ص١٤٨.، وقد ذهب د. العانى إلى ان الغين تكون لهوية بعد الضمة والفتحة قصيرتين او طويلتين، وتكون طبقية قصيرة بعد الكسرة قصيرة أو طويلة. انظر: Arabic phonology, 34- 35 وانظر - من المصادر القديمة -: الكتاب ٤/٤٣٣، وشرابضناعة ١/٦٢.

(٢) من أصول اللهجات العربية فى السودان ص٤٧. وانظر - كذلك - علم الأصوات ص٢٨٤.

(٣) انظر: بحوث ومقالات فى اللغة ص١٠.

- لهجة البحرين والكويت: حيث تتحقّق هذه الصورة النطقية للقاف فى كلمات قليلة، تتميز - كذلك - بأنها تنتمى إلى مستوى الاستعمال الفصيح، أو بأنها مستحدثة[١].

ومن ذلك: قول البحرانيين (من أهل جزيرة المحرق والقرى المجاورة)[٢]:

مجلة المواغف	بدلاً من	المواقف
عيد الاستغلال	بدلاً من	الاستقلال
غـــرار الوزير	بدلاً من	قرار... إلخ

ومن ذلك أيضًا: قول الكويتيين (بنطق بين القاف والغين - أو بالغين)[٣]:

الغـضـاء	بدلاً من	القـضـاء
المغـررات	بدلاً من	المقـررات
اسـتغـلال	بدلاً من	استقلال... إلخ

وثمة أمثلة تراثية (محدودة) على وقوع الإبدال بين القاف والغين فى بعض الاستعمالات - على ما سندرس بقدر من التفصيل فى المبحث التالى - إلا أنه لم يثبت بعد أن ثمة أصلاً لهجيًّا بعينه لهذه الصورة النطقية الغينية[٤].

ويتضح - بعد - أن هذه الصورة الصوتية للقاف ليست صورة مطلقة عند من ينطقونها، بمعنى أنهم لا ينطقون كل قاف غينًا، بل الأمر مقيَّد بقيد ثقافى أو حضارىّ، هو أن تكون القاف صوتًا فى كلمة مستحدثة، أو يشيع تداولها فى مستوى الاستعمال الفصيح.

(١) انظر: الأصالة العربية فى لهجات الخليج ص١٤٨.

(٢) انظر: الأصالة العربية فى لهجات الخليج ص١٤٩.

(٣) انظر: د. مطر: خصائص اللهجة الكويتية ص٣٤.

(٤) وانظر: علم الأصوات ص٢٨٦.

Scanned with CamScanner

فهذا - إذن - يفسّر لنا نشأة الصورتين النطقيتين الأخيرتين للقاف؛ إذ تنطبق عليهما شروط تطبيق هذا (القانون)؛ من حيث تولدهما من أحد أصوات أقصى الحنك، ومن حيث ارتباطهما - غالبًا - بمجاورة صوت لين أمامي.

وأشير - أخيرًا - إلى أنني قد تبنيتُ هذا «التفسير الترجيحي المركّب» لتوالد الصور النطقية للقاف، على أساس أن الأقرب - لدى تغير صوت إلى آخر - هو أن يكون التباين بينهما محصورًا في فرق واحد - أو كالواحد: المخرج، أو الصفة.

وعلى ذلك، فلقد رجحتُ - مثلاً - أن تغيُّر قاف القراءة المهموسة (= الأصل القديم) إلى «غين» لم يحدث مباشرة؛ وذلك لتباينهما في صفة الجهر وفي صفة الشدة كذلك، بل رجحتُ أن تكون الصورة الغينية قد تولدت من تلك البدوية المجهورة مثلها، والمباينة لها في صفة الشدة فحسب... إلخ.

•••

٢. إبدال القاف

يعرف الإبدال بأنه: جَعْل حرف مكان آخر(١).

ويقسّم الإبدال، عادة إلى: إبدال صرفي، وآخر لغوي. فأما «الصرفي»، فيختص بحروف معينة، ويتميز - في مجمله - بالاطّراد أو القياسيّة (مثلاً: إذا تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، قُلبت ألفًا...).

وأما «الإبدال اللغوي» فلا يختص بحروف معيّنة، كما أنه غير مُطّرد؛ ولذا فهو أعمّ من نظيره الصرفي، وذلك كقولهم: مدح ومده، والجَدف والجدَث للقبر، وغير ذلك(٢).

ومن جهة أخرى: فإن ثمة فرقًا بين الإبدال اللغوي، وبين الصور النطقية التي عرضنا لها في المبحث السابق: فهذه الأخيرة تتميز في تحقُّقها بالاطّراد: اطرادًا مطلقًا، أو اطّرادًا مقيّدًا بقيد خاص، على نحو ما فُصّل من قبل. وأما الإبدال اللغوي، فلا تتميز أمثلته بهذا الاطّراد، بل هي أمثلة «اتفاقية» محدّدة بعينها، و«لا قانون لحصولها» على حد قول «برجشتراسر»(٣).

وقد اهتمّ قدامى اللغويين العرب بظاهرة «الإبدال اللغوي»: فأفردها بعضهم بمصنّفات مستقلّة، كما فعل ابن السِّكّيت(٤) (ت٢٤٤هـ)، والزَّجّاجي(٥) (ت٣٣٧هـ)، وأبو الطيب اللغوي(٦) (ت٣٥١هـ). وأفرد آخرون لها - أو لأمثلتها - مطالبَ أو فصولاً في أثناء مؤلّفاتهم، كما فعل القالي(٧) .....

---

(١) انظر: الجرجاني: التعريفات ص٢١، والمناوي: التوقيف على مهمات التعاريف ص٢٩.

(٢) وانظر في تفصيل القول في ذلك: د. البواب: ظاهرة الإبدال اللغوي ص١٥-٢٦.

(٣) التطور النحوي للغة العربية ص٢٧.

(٤) وذلك: كتابه: الإبدال.

(٥) وذلك: كتابه: الإبدال والمعاقبة والنظائر..

(٦) وذلك: كتابه: الإبدال.

(٧) انظر بعض «المطالب» في كتابه: «الأمالي»، كما في الصفحات التالية: ٢/ ٦٨، ٧٨، ٩٧، ١١٢، ١١٣، ١١٤ وغيرها.

Scanned with CamScanner

والسؤال ـ بعد ـ هو: ما القاف التى وصفها القدماء إذن؟

أقول: إننا نستبعد ـ فى هذا الصدد ـ استبعاداً تامًّا القاف التى كالهمزة، وتلك التى كالجيم المعطشة، والتى كالدال والزاى (دْز). فالأمر فى استحالة كون أىّ منها مقصوداً بوصف القدماء بالغ الوضح.

كما نستبعد كذلك القاف التى كالغين، وتلك التى كالكاف: لأن كُلاًّ من «الغين» و«الكاف» فونيم مستقلّ فى العربية؛ يترتّب على استبدال أىٍ منهما بالقاف حصولُ تغيُّر فى المعنى (قبّل / كبّل ـ قرّب / غرّب..) إلا فى حالة حصول الإبدال ـ على ما سيأتى فى المبحث الثانى ـ فالقول بأن «القاف» كانت تنطق «غينًا» أو «كافًا» يعنى حصول «اندماج فونيم» بين القاف وأىٍ من هذين الصوتين، مما يعنى ـ كذلك ـ فناء أحدهما، وهذا أمر غير واقع.

كما أن احتمال خلْط القدماء ـ لدى تحديد المخرج والصفات ـ بين «القاف» وأىٍ من «الغين» و«الكاف» أمر مستبعد كذلك.

فـ«الغين» تباين «قاف القدماء» فى صفة الشدة / الرخاوة («قاف القدماء شديدة والغين رخوة»، وقد كانت هذه الصفة واضحةً فى أذهان جمهور القدماء؛ لسهولة اختبار معيارها (انحباس النَّفَس لدى النطق بالصوت أو استمراره)؛ مما يجعل الخطأ ـ أو الخلط ـ فى الوصف بها احتمالاً بعيد الوقوع.

و«الكاف» تباين «قاف القدماء» فى المخرج وفى الجَرس (وقع الصوت على الأذن) مباينة كافية تجعل القول بخلط القدماء بينهما احتمالاً بعيد الحصول كذلك. ولا يتبقّى ـ بعد ـ سوى «قاف القراء» و«القاف البدوية».

فأما «قاف القراء»، فاستبعد ـ كذلك ـ أن تكون هى المقصودة بوصف القدماء ـ أو متقدميهم على الأقل ـ وذلك لأمرين:

الأول: ما سبق أن ذكرته من مباينتها لتحديد القدماء فى صفة

(الجهر / الهمس) فقاف القراء مهموسة، فى حين أطبق قدامانا على وصف القاف بـ «الجهر».

الثانى: ما سبق أن رجحته من أن هذه الصورة النطقية للقاف لم تكن شائعة، بل كانت خاصة بقبيلة تميم ـ أو أحد فروعها ـ ودلّلتُ على ذلك ـ فيما دلّلت ـ بأن كلام القدماء عنها ـ كابن دريد وابن فارس ـ جاء فى سياق الحديث عن بعض الصور النطقية «الخاصة» المباينة لنظائرها «الشائعة». فهذا مما يرجّح ـ كذلك ـ أنها لم تكن مقصود القدماء بالوصف.

وأما «القاف البدوية»، فهى الصورة النطقية التى أرجح أنها كانت مقصود القدماء[1] ـ أو متقدميهم على الأقل ـ وذلك لأمرين، هما:

الأول: أنها كانت ـ وما تزال ـ الصورة النطقية الشائعة فى شبه الجزيرة العربية.

وقد سبق أن أوردتُ كلام أبى حيان (ت٧٥٤هـ) وابن خلدون (ت٨٠٨هـ) بشأن شهرة هذه القاف البدوية وذيوعها شرقًا وغربًا؛ مما حدا بابن خلدون أن يؤسّس على ذلك قولَه: «ويظهر من ذلك أنها (أى: القاف البدوية) لغة مُضَر الأولين»[2]، بل يُفهَم من كلامه أنّ هناك مَنْ كان يقرأ بها فى الصلاة، ويلحّن من يقرأ بغيرها[3]:

فمن الراجح، إذن ـ أن تكون هذه القاف الذائعة هى القاف التى عناها القدماء بالوصف.

الثانى: أن الملامح التمييزية لهذه القاف البدوية تكاد تتطابق مع تلك التى عيّنها القدماء؛ فهى مجهورة وشديدة (وقفية) كما نصّ القدماء.

---

(١) انظر: دروس فى علم أصوات العربية ص١٠٧، وعلم الأصوات ص٢٨٠ـ٢٨١؛ ود. حلمى خليل: التفكير الصوتى عند الخليل ص٤٢.

(٢) مقدمة ابن خلدون ٣/١٢٨٣.

(٣) انظر: مقدمة ابن خلدون ٣/١٢٨٣ ـ ١٢٨٤.

Scanned with CamScanner

الاستعمالان، بحيث يتأسس على ذلك ترجيح أصالة الاستعمال الذى تتشابه معانى استعمالات جذره مع هذا المعنى المتجاذَب.

ويتأسس هذا المعيار على ما هو مقرَّر - فى العربية - من وجود وشيجة دلالية بين استعمالات الجذر الواحد، بحيث تكون هناك دلالة محوريَّة تتحقق - بشكلٍ ما - فى كل استعمالات الجذر. وهذا هو الأساس الذى بنى عليه ابن فارس (ت٣٩٥هـ) معجمه «مقاييس اللغة»، وعالج - فى ضوئه - جذور اللغة الثلاثية.

فإذا ما انتقلنا - بعد - إلى فحص ما أوردته كتب الإبدال على أنه أمثلة لحصول الإبدال بين القاف وأصوات أخرى، فإننا يمكن أن نقسّم هذه الأمثلة إلى قسمين متميزين:

- قسم تتحقق فى أمثلته العلاقة الصوتية.
- قسم لا تتحقق فى أمثلته هذه العلاقة.

* * *

١ - أ - أمثلة تتحقق فيها العلاقة الصوتية:

هذا القسم من أمثلة إبدال القاف هو القسم الجدير بالدخول فى دائرة «الإبدال»، على ما شَرَط المحدثون وبعض القدامى، وهو ما أميل إليه كذلك.

وينهض هذا القسم - فى معظمه - على أمثلة تتناظر فيها القاف مع الكاف أولاً، ثم مع الغين ثانياً[1].

وقد أفرد ابن السِّكِّيت[2] (ت٢٤٤هـ) باباً لإبدال القاف والكاف، وكذا فَعَل الزَّجَّاجى[3] (ت٣٣٧هـ)، وأبو الطيب اللغوى[4] (ت٣٥١هـ). كما أفرد أبو الطيب اللغوى باباً - كذلك - لإبدال الغين والقاف[5].

(١) سبق التنويه بالعلاقة الصوتية الوثيقة بين القاف وكل من الكاف والغين فى المبحث الأول لدى الحديث عن التفسير الصوتى لصور القاف النطقية.
(٢) انظر: كتابه: الإبدال ص١١٣-١١٤.
(٣) انظر: كتابه: الإبدال والمعاقبة والنظائر ص٧٧-٨٢.
(٤) انظر: كتابه: الإبدال ٢/٣٥٣-٣٦٤.
(٥) انظر: الإبدال ٢/٣٢٨-٣٢٩.

وتأسيسًا على ما سَبَق ذكره من معايير ترجيح «الأصالة» و«الفرعية» فى المبدلات - وعلى رأسها المعيار الدلالى - يمكننا أن نفحص بعضًا مما أوردته كتب الإبدال على أنه أمثلة لحصول الإبدال بين القاف والكاف وبين القاف والغين:

فممّا ورد من ذلك بين القاف والكاف: أزواج الاستعمالات الآتية:

(قح - كح):

قال ابن السِّكِّيت (ت٢٤٤هـ): «قال أبو عمرو الشيبانى: يقال: هو عربىّ كُحّ.. أبو زيد: يقال: أعرابى قُحّ، وأعراب أقحاح، أى: مَحْض خالص»[1].

والبحث يثبت أن الدلالة على «المحوض والخلوص» أصيلة فى استعمالات «قح»، كقولهم - فضلاً عن الاستعمال المذكور:

- «لئيم قُحّ»: إذا كان مُعرِقًا فى اللُّؤم.
- «عَبْد قُحّ»: إذا كان خالص العبودة...[2] إلخ.

فى حين لم يرد فى «كح» إلا الاستعمال المذكور تقريبًا[3]، فـ«قُح» - إذن - أعمّ تصرُّفًا، وأوفر استعمالات، فضلاً عن أصالة المعنى المشترك فيه.

وقد اعتبر ابن جنى (ت٣٩٢هـ) معيار «مقدار التصرف» فحسب، ورجّح - على أساسه - أصالة القُحّ، قائلاً: «فينبغى أن تكون الكاف فى كُحّ بدلاً من قاف قُحّ؛ لأن أبا زيد حَكَى فى جمعه: أَقْحاح، ولم نسمعهم قالوا: أكحاح»[4].

(١) الإبدال ص١١٣. وانظر - كذلك -: إبدال ابى الطيب ٢/٣٥٧، وأمالى القالى ٢/١٣٩، وسر الصناعة ١/٢٧٩، والمخصص ١٣/٢٧٧، والمساعد على تسهيل الفوائد ٤/٢٢٩-٢٣٠، وشفاء العليل فى إيضاح التسهيل ٣/١١١٣.
(٢) انظر: (قحح) فى اللسان ٥/٣٥٣٥، والتاج ٧/٣٧.
(٣) انظر: (كحح) فى اللسان ٥/٣٨٣١، والتاج ٧/٦٩-٧٠.
(٤) سر الصناعة ١/٢٧٩. وما ذكره عن ابى زيد الأنصارى أورده ابن السكيت - على ما مرّ - فى النص المقتبس من كتابه: الإبدال.

Scanned with CamScanner

١ـأ ـ١: القاف التى وصفها القدماء

المقصود بذلك، هو تلك «القاف» التى تردّد نعتُها ـ مخرجًا وصفات ـ فى مصنّفات القدماء.

وإن استقراء جمهور هذه المصنّفات ليقودنا إلى تحديد الملامح التمييزية -distinctive Featres لهذه القاف كما يلى:

المخرج: التقاء أقصى اللسان بما فوقه من الحنك الأعلى (= لهوية).

الصفات: ـ وقفية (شديدة).

ـ مجهورة.

ـ مستعلية.

وقد تردّدت هذه النعوت ـ دون إضافة أو تعديل مذكور ـ فى كتب اللغة والنحو، وكتب التجويد والقراءات: سواء ما يتعلّق من تلك النعوت بالمخرج[1] أو ما يتعلق منها بالصفات[2].

---

(١) انظر ـ فى تحديد المخرج ـ من كتب اللغة والنحو: العين ١/٥٧ـ٥٨، والكتاب ٤/٤٣٣ وابن السّراج: رسالة الاشتقاق ص٣٥، وتهذيب اللغة ١/٤٨، وسر الصناعة ١/٤٧، والحميرى: شمس العلوم ١/٥٨، وأبو البركات ابن الأنبارى: أسرار العربية ص٤٢٠، وشرح المفصل ١٠/١٢٣، والممتع ٢/٦٦٩، وارتشاف الضرب ١/٨، والمساعد على تسهيل الفوائد ٤/٢٤٠.

وانظر ـ من كتب التجويد والقراءات ـ: الرعاية لتجويد القراءة ص١٣٩، والتحديد فى الإتقان ٢٢١، والإقناع فى القراءات السبع ١/١٧١، والتمهيد فى علم التجويد ص٨٣ـ٨٤، والنشر فى القراءات العشر ١/١٩٩، والطائف الإشارات ١/١٩١.

(٢) انظر ـ فى تحديد صفات ـ من كتب اللغة والنحو: الكتاب ٤/٤٣٤، والمقتضب ١/٣٣١، الاصول فى النحو ٣/٤٠١ـ٤٠٢، وجمهرة اللغة ١/٤٦، وسر الصناعة ١/٦٠، ٦١، ٦٢، ٢٧٧، وشمس العلوم ١/٨٨، أسرار العربية ص٤٢٢ـ٤٢٣، وشرح المفصل ١٠/١٢٨ـ١٢٩، والممتع ٢/٦٧١، ٦٧٥، وشرح الشافية ٣/٢٥٨ـ٢٥٩، والمساعد على تسهيل الفوائد ٤/٢٤٥ـ٢٤٧.

وسوف نعود ـ فى نهاية هذا المبحث ـ لمناقشة هذه الملامح التمييزية التى عينّها القدماء لصوت القاف؛ لننظر فى انطباق هذه الملامح على أىٍّ من الصور النطقية المتعددة لهذا الصوت...

١ـأ ـ٢: القاف البدوية (g)

تُشبه هذه الصورة النطقية للقاف نطق الجيم القاهرية غير المعطّشة، ونطق الكاف الفارسية (الجاف = ك)، إلا أنها أعمق قليلا، وأكثر تفخيمًا.

وهذا يعنى أنها تتميّز بجملة الملامح التمييزية التالية:

المخرج: التقاء مؤخّر اللسان (ثلثه الداخلى) بما فوقه من الحنك اللين (= طبقية).

الصفات: ـ وَقْفيّة (شديدة).

ـ مجهورة.

ـ مستفلة.

والقاف البدوية ـ على هذا الوصف ـ تكاد تكون هى النظير المجهور للكاف العربية المهموسة[1].

وتشيع هذه الصورة النطقية للقاف شيوعًا كبيرًا ـ إلى وقتنا هذا ـ فى منطقة الخليج العربى، فيقال: مثلاً[2]:

= وانظر ـ من كتب التجويد والقراءات: الرعاية لتجويد القراءة ص١٧١، والتحديد فى الإتقان ٢٧٣، والإقناع فى القراءات ١/١٧٤ـ١٧٥، والتمهيد فى علم التجويد ص١٣٨، والنشر فى القراءات العشر ١/٢٠٢، ولطائف الإشارات ١/٢٠٥.

(١) انظر: د. أنيس: الاصوات اللغوية ص٨٥.

(٢) انظر: د. مطر: دراسة صوتية فى لهجة البحرين ص٤٢ـ٤٣؛ ود. فالح حنظل: معجم الألفاظ العامية فى دولة الإمارات ص٥١٧، ٥٣٥، ٥٣٦. وقد تمت الاستعانة ـ هاهنا ـ بالرمز الكتابى للكاف الفارسية لتمثيل القاف البدوية، وهما متماثلان تقريبًا.

Scanned with CamScanner

وما دامت الرؤية الجديدة للغة والأدب تقوم على أنها لغة قوم وأدب قوم، فليبعث كل قوم لغتهم - وبمعونة المستشرقين والمبشّرين أيضًا - ومن هنا رأينا الدعوات تظهر فى شرق وغرب فى ضرورة بعث اللغة القومية، ولتمسك بها، وكتابتها - حتى وإن لم تكن مكتوبة قبل اليوم - والتأليف فيها؛ فالأكراد لابد أن يكون لهم أدب كردى ناطق باللغة الكردية وإن تمسكوا بإسلامهم، والزنوج فى جنوب السودان لابد أن تكون لهم لغة مكتوبة، وأدب مدوَّن فى هذه اللغة، والنوبيون فى جنوب مصر لابد أن يكون لهم أدب نوبى ناطق بلغتهم، والبربر فى المغرب العربى لابد أن يكون لهم أدب بربرى ناطق باللغة الأمازيغية، ... وهكذا، والذين ليس لهم لغة، قومية غير العربية عليهم أن يتمسكوا بعاميتهم وأن يحولوها إلى لغة مكتوبة لها قواعدها وأدبها.

وهذه الدعوات كانت تقوم عليها مؤسسات وأحزاب، وأسلحة وأموال، ومطابع وصحف، ولم يكن يخفى على النظر الثاقب من يقف وراء هذه الدعوات التفتيتية، ولم يكن الهدف من وراء هذا كله خافيا على ذوى البصيرة؛ فلم يكن المتشرقون والمبشرون والاستعمار حريصين على هذه الأعراق، ولا ساعين فى مصالحها، ولكن هذه الدعوات كانت غايتها البعيدة هى قطع الوشائج بينهم وبين الإسلام، ولو بقيت اللغة العربية حية على ألسنتهم فستقودهم حتما إلى التراث الإسلامى وإلى الإسلام، ولقد كان «ليوطى» الحاكم الاستعمارى الفرنسى فى المغرب صريحًا فى هدفه حينما قال عام ١٩١٢: «إن اللغة العربية تجر إلى الإسلام؛ لأن هذه اللغة تتعلم فى القرآن، وهذا فى حين أن مصلحتنا تحتم علينا العمل على جعل البربر يتطورون خارج إطار الإسلام، ومن الناحية اللغوية يجب أن نعمل على الانتقال مباشرة من البربرية إلى الفرنسية»(٩).

وقد كان من نتيجة هذا التشتت أن انكفأت كل جماعة على نفسها تنفخ فى نارها وتحاول أن تجعل لها شأنًا تنافس به الأخرى أو تقضى عليها، وانقطعت بهذا

أحبال التواصل والتلاقى بين أبناء الأمة الواحدة، وبعد أن كان العربى يتلقى القصيدة الجيدة فيروبها، ويستمتع بها، ويدخلُها العالم فى بحثه ودرسه، دون أن يسأل عن جنسية صاحبها وعرقه، لا فرق فى ذلك بين أدب يُكتب فى أقصى بقعة فى شرق آسيا وصل الإسلام إليها وتَعَرَّب لسانُها، وبين أقصى بقعة فى غرب أوربا، فالأدب العربى - أيا كان مصدره - يخاطب وجدانى، ويصدر عن مشاعرى وأحاسيسى، وأجد فيه نفسى، فلغته هى لغتى، وتجربته مرتبطة بتجربتى برغم تباعد الأوطان والأزمان، بعد كل هذا وجدنا أنفسنا أمام أدب قطيعة وتباعد؛ فالأدب الذى يكتبه أبناء شبه القارة الهندية باللغة العربية، أو أبناء أفريقيا جنوب الصحراء لا يعرفه أحد، ولا يدخل فى درس الأدب العربى، دعك مما يكتبون بلغاتهم، الأهلية فهذا أبعد ما يكون عنا، حتى وإن صدر أدبهم عما يصدر عنه أدبنا من تصور إسلامى، أو من تجربة مشابهة، لتشابه واقعنا وواقعهم، وما يكتبه أبناء الأعراق المختلفة فى الوطن العربى لا يقرؤه إلا أبناء جنسهم.

أما الذين يكتبون أدبا عربيًا من أبناء هذه الأمة، فإن كانوا ينطلقون من اللغة التى أسسها القرآن والحديث فهم متخلفون رجعيون منقطعون عن العالم من حولهم ولا يعيشون عصرهم، فالأدب العصرى لابد أن تنبتَّ صلته بماضيه، ولا مانع أن يرتبط بماضى الآخرين، حتى وإن كان موغلا فى القدم.

وفى هذا المناخ وصف المؤرخ البريطانى «أرنولد توينبى» اللغة العربية بأنها لغة دينية، وهذا يعنى أنها لغة ترتيل وصلوات ونسك وأدعية، أما أنها لغة علم وحضارة وأدب وفن فلا، فليقرأ المسلم القرآن فى أى بقعة من الأرض بالعربية الفصحى، وليؤذن بها إن شاء، وليدعُ بها ما استطاع، فهذا أمر لا حظر فيه!!.

وفى ندوة التراث المشترك بين العالم العربى الإسلامي والغرب التى انعقدت فى جامعة الإمارات سنة ١٩٨١ ردد المفكر الفرنسى «بييردوسى» مقولة حفظها ووعاها وهى: «لا يمكن أن يكون المرء مسلمًا صالحًا إذا لم يكن عربيًا قليلًا، ولكن

Scanned with CamScanner

لا حاجة أيضاً لأن يكون عربياً تماماً ليكون مسلما صالحاً»[١٠]. وهذه المقولة تلتقى مع مقولة نوبنى فى غايتها، فالعربية يمكن أن يكتفى فيها بالقليل الذى تصلح به العبادة، ولا حاجة للمسلم بما يزيد على ذلك.

ومن المفارقات الغريبة - وإن كان لا مفارقة هناك - أن فى الوقت الذى كانت تدق المسامير فيه فى نفس اللغة العربية وهى فى عنفوانها وحيويتها كانت هناك أيد أخرى تمتد للغة ميتة تنزع عنها أكفانها وتنفخ فيها روحا جديدة، هذه اللغة هى اللغة العبرية، وهي لغة لم يكن قد بقى منها شئ فى حياة اليهود إلا ما يقيم به الكهنة والحاخامات عبادتهم، أما لغة الحياة فقد كانت لغة «اليديش» وهى اللغة الشعبية اليهودية التي كانت شائعة على ألسنة أغلب اليهود[١١]، لكن اليهود الذين كانوا يسعون إلى إقامة دولتهم على أرض الميعاد أدركوا أن هذه الدولة لن تقوم لها قائمة إلا إذا ارتكزت على التوراة عقيدة ولغة ومنهج حياة، ومن هذا المنطلق سعى أبناؤها إلى بعث هذه اللغة من مرقدها، فلما قامت الجامعة العبرية فى فلسطين سنة ١٩٢٥ اتخذت اللغة العبرية لغة للتدريس فى جميع العلوم[١٢]، وهكذا ترى أن فى الوقت الذى كان يقرأ فيه بول كراوس نصوصاً من الكتاب المقدس مع طلاب الدراسات العليا فى كلية الآداب بالجامعة المصرية، ويباعد هو ومن سبقه ومن لحق به من المستشرقين بين اللغة العربية وبين القرآن الكريم كانت الجامعة العبرية تربط بين اللغة العبرية وبين الكتاب المقدس برباط وثيق لا ينفك، وكانت فى الوقت نفسه تربط بين هذه اللغة وبين الحياة العصرية، فإذا كانت اللغة الحبة التي استوعبت تراث الإنسانية عصوراً طويلة عاجزة - فى زعمهم - عن تدريس العلوم الحديثة، فإن العبرية الميتة والتي لم يكن لها سابق تعلق بالعلم والمعرفة تستطيع أن تستوعب حضارة العصر مع احتفاظها بطابعها الدينى. يقول اليزار بن يهودا - وهو الذى خاض معركة إحياء اللغة العبرية حتى تصبح لغة حياة -: «إن العودة إلى العبرية هو منطلق العودة إلى أرض إسرائيل، وأنه بهذا السبيل فقط يمكن تحقيق الخلاص لليهود، فكما أن اليهود لا يمكن أن يصبحوا أمة

فى دولة إلا إذا عادوا إلى أرض أجدادهم كذلك لا يمكن أن يكونوا أمة فى دولة دون العودة إلى لغة أجدادهم، لا ليستعملوها فى الصلوات فحسب، بل فى حديث الشيوخ والشباب والنساء والأطفال وكل شئون الحياة، وفى جميع ساعات الليل والنهار، مثلما تفعل جميع الأمم فى دولها»[١٣].

وقد وضع هذا الرجل الذى مات قبل قيام الجامعة العبرية بثلاث سنوات خطة لإعادة اللغة العبرية للحياة، منها تشكيل لجنة دائمة متخصصة في تطوير وتعزيز العبرية[١٤]، وقد رأت هذه اللجنة: «أن الحركة الصهيونية كانت ترى أنه لا يمكن الفصل بين الدين واللغة من جهة، وبين الدين والسياسة من جهة ثانية، ولا بين اللغة والأهداف السياسية من جهة ثالثة»[١٥]، لكن هذا الارتباط الوثيق بين العبرية والدين وجد من يتمرد عليه من الشباب الذين استهوتهم المذاهب الحديثة فى الأدب والنقد، فماذا كان موقف وزير الثقافة الإسرائيلى من هذا التمرد؟

إليك القصة كما يرويها د/ حسن ظاظا فى رده على سؤال وُجِّه إليه فى نادى جدة الأدبى عقب محاضرة له بعنوان: «**والآن ماذا نريد من الأدب**» فى ١٤٠٣/٨/٩، قال: «كان إيجال ألون» وهو رجل عسكرى وزيرا للزراعة ومسئولاً أيضاً عن وزارة الثقافة الإسرائيلية، فقام شباب من أنصار الأدب الحديث فى اللغة العبرية وقدموا شكوى ضده لرئاسة مجلس الوزراء، اتهموه فيها بأنه رجل رجعى، ورجل متزمت، ورجل يريد أن يخنق الشباب ويضيق عليهم جداً لأسباب هى الآتى:

قالوا نحن كلنا شعراء وقصاصون وأدباء، والحكومة الإسرائيلية تعطى ورق الطباعة بكوبونات مخصوصة، فيكون مدعوما من الدولة ورخيصاً، وبالتالى يمكن طبع هذه الأشياء بسعر رخيص، والدولة التى تطبع لبعض المؤلفين لا تعطينا هذه الكوبونات للورق، ولا تطبع لنا، وإذا طبعنا على حسابنا لا تسمح لأية مؤسسة ثقافية تحت إشراف الدولة من مؤسسات التوزيع، وهذه كثيرة عندهم، بتوزيع

Scanned with CamScanner

عزل اللغه عن القرآن الكريم
و آثاره المدمرة

الاستاذ الدكتور

عبده زايد

Scanned with CamScanner

كَلب	بدلاً من	قَلب
صَكَر	بدلاً من	صَقر
كُوَّة	بدلاً من	قُوَّة
كَهوه	بدلاً من	قَهوة

كما تشيع هذه الصورة النطقية - كذلك - فى اليمن والسودان[1] وفى مصر: فى محافظات الصعيد، وفى كثير من قرى الوجه البحرى، إلا أنها ربما تكون - وخاصة تلك المنطوقة فى الوجه البحرى - أقلّ عمقًا؛ وبالتالى تفخيمًا، من تلك المنطوقة فى منطقة الخليج العربى[2].

وقد رَصَدَ بعضُ علمائنا شهرةَ هذه القاف، وذيوعها على ألسنة قبائل البدو، وغيرهم، وسَمَّوها - أحيانًا - بـ «القاف المعقودة»، مُنبِّهين على مباينتها للقاف المهموسة الغالبة على ألسنة قرّاء القرآن الكريم:

- قال أبو حيان الأندلسى (ت٧٥٤هـ) - مثلاً - : «وهى (أى: القاف البدوية) الآن غالبة على لسان مَنْ يوجد فى البوادى من العرب، حتى لا يكاد عربى ينطق إلا بالقاف المعقودة، لا بالقاف الخالصة الموصوفة فى كتب النحويين، والمنقولة عن وصفها الخالص على ألسنة أهل الأداء من أهل القرآن»[3].

- وقال ابن خلدون (ت٨٠٨هـ): «وهو (أى النطق البدوى للقاف) موجود للجيل أجمع حيث كانوا من غَرْب أو شرق، حتى صار ذلك علامة عليهم من بين الأمم والأجيال، ومُختصًّا بهم لا يُشاركهم فيها غيرُهم..»[4].

١-أ-٢: قاف القراء (q)

والمقصود بها: تلك القاف التى ينطق بها - الآن - قرّاء القرآن الكريم، التى تشيع -

(١) انظر: د. عابدين: من أصول اللهجات العربية فى السودان ص٤٣.
(٢) وانظر: د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٨٧.
(٣) ارتشاف الضرب ١/١٦. وانظر - كذلك -: لطائف الإشارات ١/١٨٥.
(٤) مقدمة ابن خلدون ٣/١٢٨٣.

كذلك - على ألسنة المثقفين فى مواقف الجِدّ من القول، كما أنها تجسِّد الأصل السامىّ القديم، على ما يقرر الدرس اللغوى المقارن[1].

وتتميز هذه القاف بحزمة الملامح التمييزية التالية: (٢)

المخرج: التقاء أقصى اللسان باللهاة (= لهوية).

الصفات: - وقفية (شديدة).
- مهموسة.
- مستعلية.

وما تزال هذه الصورة النطقية للقاف حيةً فى الكلام الدارج، فى بعض المناطق من عالمنا العربى المعاصر.

ومن ذلك: القاف الشائعة على ألسنة كلٍّ من:

أهل مدينة رشيد، وأهل البرلس وبلبيس بمصر[3].

بعض المناطق فى اليمن، ولا سيما الجنوب[4].

- قبائل الشُّحوح، وبعض أعراب إمارة رأس الخيمة والفجيرة، بدولة الإمارات العربية المتحدة[5].

(١) انظر: بروكلمان: فقه اللغات السامية ص٣٩، وبرجشتراسر: التطور النحوى للغة العربية ص٢٦، وموسكاتى: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ص٧٠، ود. رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ص٢٢١ - ٢٢٢.
(٢) انظر: د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٨٧ - ٨٨، ومناهج البحث فى اللغة ص١٢٤، ودراسة الصوت اللغوى ص٣١٨، وعلم الأصوات ص٢٧٦، والمدخل إلى علم اللغة ص٥٤ - ٥٥.
وانظر - كذلك -: Arabic phonology, P.32.
(٣) وانظر: حفنى ناصف: مميزات لغات العرب ص٣.
(٤) وانظر: علم الأصوات ص٢٨٢.
(٥) انظر: معجم الألفاظ العامية فى دولة الإمارات ص٥١٧.

Scanned with CamScanner

(٣٥٦هـ) وابن سيده[١] (ت٤٥٨هـ) وغيرهما[٢].

وقد تباين موقفهم من شروط القول بوقوع الإبدال: فذهب فريق منهم - وعلى رأسه ابن جنى (ت٣٩٢هـ) - إلى اشتراط وجود علاقة صوتية (اتحاد المخرج أو تقاربه) بين الصوتين: المبدل والمبدل منه. فى حين لم يشترط اخرون - كابى الطيب اللغوى (ت٣٥١هـ) - ذلك، كما يتبدّى فيما أوردوه على أنه أمثلة لهذه الظاهرة.

كما اخرج فريق منهم - كابن جنى - من دائرة الإبدال تلك الأمثلة التى ورد كل منها منسوباً إلى لهجة بعينها[٣].

وأمّا المحدثون، فيلخّص موقفَهم قولُ العلاّمة الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله -: «حين نستعرض تلك الكلمات التي فُسِّرت على أنها من الإبدال حينًا، أو من تباين اللهجات حينًا آخر، لا نشكّ لحظة فى أنها جميعًا نتيجة التطور الصوتى. أى أن الكلمة ذات المعنى الواحد، حين تروي لها المعاجم صورتين أو تطقين، ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفًا من حروفها، نستطيع أن نفسِّرها على أن إحدى الصورتين هى الأصل، والأخرى فرع لها، أو تطوُّر عنها، غير أنه فى كل حالة يُشترط أن نلحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين: المبدل والمبدل منه[٤].

فهذا يعني أن ثمة شرطين أساسيين - لدى المحدثين - للقول بحصول الإبدال[٥]:

- وجود علاقة صوتية (اتحاد المخرج أو تقاربه) بين الصوتين - أو الأصوات - المظنون حصول الإبدال بينها.

(١) انظر: كتابه: المخصص ١٣/٢٧٤-٢٧٨.

(٢) وانظر فى تفصيل القول فى ذلك: د. البواب: ظاهرة الإبدال اللغوى ص٢٦-٣٠، ود. عبد الله بو خلخال: ظاهرة الإبدال عند اللغويين والنحاة العرب ص٣٨-٤٣.

(٣) انظر فى تفصيل القول فى ذلك: ظاهرة الإبدال اللغوى ص٣٧-٤٤.

(٤) من أسرار اللغة ص٧٥.

(٥) وانظر فى تفصيل القول فى ذلك: ظاهرة الإبدال اللغوى ص٣٩-٤١، وظاهرة الإبدال عند اللغويين والنحاة العرب ص٤٤-٤٥.

- الاتفاق فى المعنى بين الاستعمالين - أو الاستعمالات - المشتملة على هذه الأصوات.

ولابُدّ - بعد - أن يكون الاستعمالان منسوبين إلى لهجتين مختلفتين، أو أن يكون أحدُهما فقط هو المنسوب، أو أن يكونا - جميعًا - بلا نسبة[١].

وأما معايير ترجيح «الأصالة» و«الفرعية» بين الاستعمالات (المبدلة) - وبالتالى أصواتها - حين تستوفى شروط القول بحصول الإبدال، فيمكن إيجازها - لدى المحدثين - فيما يلى[٢]:

- ورود أحدها - دون الأخر - فى نصوص قديمة يرجّح أصالته.

- نسبة الشيوع؛ فكثرة الشواهد الخاصة بأحد الاستعمالات ترجّح أصالته. وقد اهتم ابن جنى (ت٣٩٢هـ) اهتمامًا خاصًا بأحد مظاهر هذا المعيار، وهو وفرة التصرف، فالاستعمال الأعمّ تصرُّفًا (= الأوفر مشتقات مثلاً...) ترجّح أصالته[٣].

(قوانين) التغير الصوتى، فالصوت الأصعب فونيميًا يتغير - عادة - نحو الأيسر، وبالتالى: تُرجح أصالة الاستعمال المشتمل على هذا الأصعب[٤].

وأضيف إلى ما سبق معياراً مهمًا - بل لعلّه من أهمها - وهو «المعيار الدلالى» الذى يمكن بيانه إجرائيًا كما يلى:

- تحييد «المعنى المتجاذَب»، ذلك الذى تأسّس عليه القول بحصول الإبدال بين استعمالين، أو أكثر.

- النُّظر فى معانى باقى استعمالات الجذرين اللذين ينحدر منهما هذان

(١) وانظر فى تفصيل القول فى هذا التقسيم للأمثلة المبدلة: من أسرار اللغة ص٧٥-٨٠.

(٢) انظر: من أسرار اللغة ص٧٧-٧٩. وانظر فى تفصيل القول فى ذلك: ظاهرة الإبدال اللغوى ص٤٥-٤٩.

(٣) انظر - مثلاً: سرّ الصناعة ١/٢٢٨.

(٤) وانظر: دراسة الصوت اللغوى ص٢٩٣.

Scanned with CamScanner

الصور النطقية للقاف فى العربية التراثية والمعاصرة			الملامح التمييزية									
			المخرج	الصفات								
				طريقة النطق			وضع الوترين الصوتيين			وضع مؤخر اللسان		
				وقفى	احتكاكى	مركب	مجهور	مهموس	لا مجهور ولا مهموس	مستعل	مستفل	
صور نطقية مطلقة		القاف التى وصفها القدماء	لهوية	+	—	—	+	—	—	+	—	
		القاف البدوية	طبقية	+	—	—	+	—	—	—	—	
		قاف القراء	لهوية	+	—	—	—	+	—	+	—	
		القاف التى كالهمزة	مزمارية	+	—	—	—	+	—	(١)*	*	
		القاف التى كالكاف	طبقية	+	—	—	—	+	—	—	+	
صور نطقية مقيدة	مقيدة بقيد صوتى	القاف التى كالجيم المعطشة	غارية	—	+	+	+	—	—	—	+	
		القاف التى مثل (دز)	لثوية	—	+	+	+	—	—	—	+	
	مقيدة بقيد خلافى	القاف التى كالغين	لهوية	+	—	+	+	—	—	+	—	

(١) يشير هذا الرمز إلى أن الصفة غير ملائمة لوصف الصوت.

١. ج. تحليل وموازنة

سبق أن ذكرتُ أن قدامانا - بدءًا من الخليل وسيبويه - قد حددوا الملامح التمييزية للقاف كما يلى:

المخرج: التقاء أقصى اللسان بما فوقه من الحنك اللين (اللهاة).

الصفات: وقفية (شديدة) + مجهورة + مستعلية.

فإذا سلَّمنا بدقة هذا التحديد، فإن أيًا من الصور النطقية للقاف - تلك المذكورة سابقًا - لا يتطابق معه؛ لحصول تباين فى المخرج، أو فى الصفات(١):

فمما لا يتطابق مع «قاف القدماء» لوجود تباين فى المخرج:

- «القاف البدوية»؛ لأنها - كما هو النطق الشائع لها الآن - لا تخرج من أقصى اللسان، بل من ثلثه الداخلى - فهى - إذن - مستفلة وليست مستعلية.

- «القاف التى كالكاف»؛ لأنها مستفلة - كذلك - تخرج من الثلث الداخلى للسان، لا أقصاه، فضلاً عن أنها مهموسة.

- «القاف التى كالهمزة» لأنها مزمارية (أو حنجرية)، لا لهوية.

- «القاف التى كالجيم المعطشة»، وتلك التى كالدال والزاى (دْز)؛ فالأولى غارية Patatal والثانية لثوية.

ومما لا يتطابق مع «قاف القدماء» لوجود تباين فى الصفات:

«قاف القراء»؛ لأنها مهموسة، فى حين أن «قاف القدماء» مجهورة، مع اتفاقهما فى المخرج (كلاهما لهوىّ).

«القاف التى كالغين»، لأنها احتكاكية (رخوة)، فى حين أن قاف القدماء وقْفية (شديدة)، مع اتفاقهما فى المخرج كذلك.

(١) وانظر: المختصر فى أصوات اللغة العربية ص ١١٠.

Scanned with CamScanner

وقد ذهب «ليتمان» إلى أن هذه الصورة النطقية للقاف صورة معرقة فى القِدَم، محتجًّا ببعض أسماء الأعلام الفينيقية[1]، كما حاول بعض الباحثين إثبات قِدَم هذه الصورة - كذلك - تأسيسًا على ما أوردته بعض كتب الإبدال من أمثلة تعاقبت فيها القاف والهمزة والمعنى واحد[2] (مثلاً: القَفْز/ الأَفْز - زُهاق مائة/ زُهاء...)، إلا أن إثبات أنّ لهذه الصورة النطقية أصلاً لهجيًّا بعينه لم يُتَحْ بعد[3]، على الرغم من شهرة هذه الصورة، وكونها - لدى الناطقين بها - صورة مطلقة بحيث تُنطَق كل قاف همزةً تقريبًا.

١-أ-٥: القاف التى كالكاف (K)

تكاد تتطابق هذه الصورة النطقية للقاف مع نطق صوت الكاف (K). وهذا يعنى أنها تتميَّز بجملة الملامح التمييزية التالية[4]:

المخرج: التقاء مؤخَّر اللسان بما فوقه من الحنك اللين (= طبقية Velar).

الصفات: وقفية (شديدة).

- مهموسة.
- مستعلية.

وتتحقّق هذه الصورة النطقية للقاف فى منطاق محدودة من عالمنا العربى المعاصر، وذلك مثل:

(١) انظر: بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى ص٢٧.

(٢) انظر - مثلاً -: بحوث ومقالات فى اللغة ص١٢-١٣، وعلم الأصوات ص٢٨٣-٢٨٤، وانظر: إبدال أبى الطيب ٢/ ٥٦١-٥٦٢.

(٣) وانظر: علم الأصوات ص٢٨٦.

(٤) انظر: د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٨٥، ومناهج البحث فى اللغة ص٢٣ (-١٢٤، ودراسة الصوت اللغوى ص٣١٨، والمدخل إلى علم اللغة ص٥٣. وانظر - كذلك Arabic Phonology, P.32.

- نطق الفلسطينيين فى القرى، - كما فى قولهم[1]:

كـــال	بدلاً من	قـــال
كـــتله	بدلاً من	قـــتله
كَـلْـبى	بدلاً من	قَـلْـبى
كَـريب	بدلاً من	قـريب
سُـــوك	بدلاً من	سُوق.... إلخ

وأما الكاف الأصلية، فتنطق - غالبًا - مثل الصوت المزدوج (ch)[2] فى أول الكلمة الإنجليزية Chidren.

- نطق البحرانيين من سكان جزيرة «سِتْرة» للقاف الموجودة فى بعض الكلمات المستحدثة، أو تلك الشائعة فى مستوى الاستعمال الفصيح؛ إذا ينطقونها كافًا مفخَّمة قليلاً، كما فى قولهم[3]:

مـجلة المواكف	بدلاً من	المـواقـف
عيد الاستكلال	بدلاً من	الاستقلال
كـــرار الوزير	بدلاً من	قـــرار
المعنى المكصود	بدلاً من	المقـصـود

وثَمة أمثلة تراثية على هذه الصورة النطقية للقاف. فمن ذلك - مثلاً -:

(١) انظر: ليتمان: بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى ص٢٧، ودروس فى علم أصوات العربية ص١١٠، ود. رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات فى اللغة ص١٠، والتطور اللغوى: مظاهره وعلله وقوانينه ص٢٩.

(٢) وانظر: بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى ص٢٧.

(٣) انظر: د. مطر: الأصالة العربية فى لهجات الخليج ص١٤٨-١٤٩، ودراسة صوتية فى لهجة البحرين ص٤٥.

Scanned with CamScanner

فالدلالة على «الحَدْو» أصيلة فى «سوق»؛ إذ تدور حولها مجملُ استعمالاته كقولهم - فضلاً عن الاستعمال المذكور:

- «السُّوق» لموضع البياعات[1]؛ وذلك «لما يُساق إليها من كل شىء»[2].

- و«الساق»: ساق الإنسان وغيره؛ «لأن الماشى ينساق عليها»[3].

فى حين يبدو معنى «الحدْو» غريبًا على استعمالات «سوك» (ساك الشىء دَلَكه، والسِّواك: ما يُدلَك به الفم من العيدان...)[4].

ومما ورد من أمثلة لحصول الإبدال بين القاف والغين: ما يلى:

(أقلف-أغلف)

قال أبو الطيب: «غلام أغْلَف وأقْلَف: إذا لم يُختَن، واسم الذى يقطعه منه الخاتن: الغُلْفة والقُلْفَة»[5].

والذى أرجحه أن المعنى المتجاذَب - هاهنا - أقرب إلى استعمالات «قلف»؛ إذ يدور جُلّها حول «القشرة التى تَغشى الشىء (وكَشْطها)»،[6] كقولهم:

- «القِلْف» لقِشر الرُّمّان.

- و«قَلَف الشجرة»: إذا نزع عنها لحاءها[7].

- ومن ذلك: الاستعمال المذكور فى نص أبى الطيب، وهو «القُلْفَة»، بمعنى: «جِلْدة الذَّكَر التى أُلبِسَتْها الحَشَفة... وقَلَفها الخاتِن: قَطعها»[8].

(١) انظر: اللسان (سوق) ٣/٢١٥٤.
(٢) انظر: المقاييس (سوق) ٣/١١٧.
(٣) المقاييس (سوق) ٣/١١٧.
(٤) انظر: اللسان (سوك) ٣/٢١٥٦.
(٥) الإبدال: ٢/٢٣٨.
(٦) وانظر: المقاييس (قلف): ٥/٢٣.
(٧) انظر (قلف): فى المقاييس ٥/٢٣، واللسان ٥/٣٧٢٥.
(٨) اللسان: ٥/٣٧٢٥.

وأما «غلف»، فتدور جُلّ استعمالاته حول معنى «غشاوة شىء لآخر»[1]، كـ «غلاف» السيف، والسكين، والقارورة[2].

وعلى الرغم من أن «جِلْدَة الذَّكَر» الموصوفة تُشبه أن تكون «غلافًا»، فإن الأليق هو أن تكون تسميتها (الحقيقية) هى «القُلْفة»، لا «الغُلْفة»؛ لأن «القُلْفة» تكون «قشرة» للشىء، أى أنها تكون من نفس جنسه - وكذلك هذه الجلدة - وأما «الغِلاف»، فهو مجرّد ساتر، وليس من شَرْطه أن يكون من جنس ما يستره.

(قمز-غمز)

قال أبو الطيب: «الغَمَز من الناس والقَمَز: الرُّذَال ومَنْ لا خير فيه، وكذلك من المال»[3].

فاستقراء استعمالات الجذرين (قمز-غمز) يقود إلى ترجيح أن المعنى المتجاذَب - هنا - أقمن بالانتساب إلى «قمز»؛ إذا تدور جُلّ استعمالاته فى فلك الدلالة على «الضآلة» أو «التجمعات الضئيلة»، كقولهم:

- «رأيت الكلأ قُمَزًا قُمَزًا»، أى: متفرِّقًا: لُمعة هنا، وأخرى هناك.

- و«القُمْزَة»: بُرْعوم النبت الذى تكون فيه الحَبّة، وهى - كذلك - القبضة من التمر، والحصى، والتراب[4].

ومن هنا، جاء الوصف بـ «القَمَز» بمعنى: الرُّذَال من الناس والمال (= الإبل)؛ إذ المقصود بـ «الرُّذولة» - غالبًا - هو الوصف بـ «ضآلة الجثة» وقِلّة الغَناء؛[5] فهذه ضآلة حسيّة ربما تقود - كذلك - إلى ضآلة معنوية؛ والدلالة على الضآلة هى من صميم دلالات استعمالات «قمز»، كما بُيِّن.

(١) انظر: المقاييس (غلف): ٤/٣٩٠.
(٢) انظر: اللسان (غلف) ٥/٣٢٨٢.
(٣) الإبدال: ٢/٣٢٨.
(٤) انظر: (قمز) فى اللسان: ٥/٣٧٣٧، والتاج: ١٥/٢٨٩-٢٩٠.
(٥) وانظر: اللسان (رذل): ٣/١٦٣٢-١٦٣٣.

Scanned with CamScanner

أثر الواقعة فى التطور اللغوى

عرض ومناقشة

إعداد

د/ على بن عبد الله القرنى

جامعة طيبة - كلية التربية والعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

Scanned with CamScanner

٥٠. اللّحن في الأصوات العربيّة على ألسنة المعجم القدامى دراسة تحليليّة في ضوء أثارات عن اختلاط السُّكّان بالبصرة . عبد الحميد الأقطش ، مجلّة أبحاث اليرموك ع ١، المجلّد ١٦ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨ م .

٥١. لسان العرب للإمام العلامة ابن منظور (٦٣٠ /٧١١ هـ)دار صادر ، بيروت ، ط٦ ، ١٤١٧هـ .

٥٢. لغات طيّئ . د. محمّد يعقوب تركستاني، رسالة دكتوراه، جامعة أمّ القرى ، كليّة اللّغة العربيّة ،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٥٣. اللّغات في الكتاب لسيبويه المستوى النّحوي ، ماجد عمر القرني ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلاميّة ، كليّة اللّغة العربيّة ، ١٤٢٤هـ .

٥٤. اللّغة . ج . فندريس ، تعريب عبد الحميد الدّواخلي ، و محمّد القصّاص ، مكتبة الإنجلو المصرية ، ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠م .

٥٥. اللّغة بين الفرد و المجتمع . جسبرسن ، ترجمة د. عبد الرّحمن أيوب ، مطبعة الأنجلو المصريّة ، ١٩٥٤م .

٥٦. اللّغة بين المعياريّة و الوصفيّة . د. تمّام حسّان ، دار الثّقافة ، الدّار البيضاء .

٥٧. اللّغة العربيّة في مواجهة الحياة . د. عبد محمّد الطّيّب ، مطبعة الأمانة ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م .

٥٨. اللّغة و المجتمع .د. علي عبد الواحد وافي ، ط٤، عكاظ للنشر و التوزيع ، جدة ،١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٥٩. لغويو القرن الثّاني و ظاهرة التّصحيف . سنيّة أحمد محمود، آداب المستنصرية ، العدد ٦، ١٩٧٨م.

٦٠. لهجات العرب و امتدادها إلى العصر الحاضر . د.عبد محمّد الطيب ، ط١، القاهرة ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

٦١. اللّهجات العربيّة في التّراث . د. أحمد علم الدّين الجندي ، الدّار العربيّة للكتاب ، ليبيا و تونس ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٦٢. اللّهجات العربيّة نشأة و تطورا . د. عبد الغفّار حامد هلال ، ط٢، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٦٣. المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . لابن عطيّة ، تحقيق المجلس العلميّ بفاس ، المغرب ، ١٣٩٥هـ .

٦٤. مختصر في شواذّ القرآن من كتاب البديع .لابن خالويه ، مكتبة المتنبي ، القاهرة.

٦٥. المزهر في علوم اللّغة و أنواعها . عبد الرّحمن جلال الدّين السّيوطيّ ،شرحه و ضبطه ،محمّد أحمد جاد المولى ، و علي محمّد البجاوي ، و محمّد أبو الفضل إبراهيم ، منشورات المكتبة العصريّة ،بيروت ، ١٩٨٦م .

٦٦. معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب . تأليف ياقوت الحموي الرّومي ، تحقيق إحسان عبّاس ، ط١، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٣م .

٦٧. مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب . تأليف الإمام ابن هشام الأنصاري ٧٦١هـ، تحقيق محمّد محي الدّين عبد الحميد ، المكتبة العصريّة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م .

٦٨. الملامح الأدائيّة عند الجاحظ في البيان و التّبيين . د .عبد الله ربيع محمود، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٦٩. الممتع في التّصريف .ابن عصفور الإشبيلي (ت٦٦٩هـ) ،تحقيق فخر الدّين قباوة ، دار المعرفة ، بيروت ،لبنان ، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٧٠. من أسرار اللّغة .د/ إبراهيم أنيس ،مكتبة الإنجلو المصرية،القاهرة ،ط٦،١٩٨٧م.

٧١. المنصف لابن جني (و هو شرح كتاب التّصريف لأبي عثمان المازني) تحقيق إبراهيم مصطفى ، و عبد الله أمين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط١، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م .

٧٢. من عيوب النّطق اللّثغ بالراء . لأستاذي أ.د . سليمان بن إبراهيم العايد ، مجلة جامعة أمّ القرى ،السّنة الثّالثة ، العدد الخامس ، ١٤١١هـ .

Scanned with CamScanner

٣٨. عيوب اللّسان و اللّهجات المذمومة ، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي ، مجلّة المجمع العلمي العراقي ، ج٣، المجلد ٣٦ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.

٣٩. العين . الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) تحقيق د. مهدي المخزومي ، و د. إبراهيم السّامرائي ، الجمهوريّة العراقيّة ، وزارة الثّقافة و الإعلام ، دار الرّشيد للنشر ، ١٩٨٠م .

٤٠. فصول في علم اللّغة العام . فرديناند دي سوسير ، ترجمه من الفرنسيّة إلى الإنجليزيّة واد باسكين و ترجمه إلى العربيّة د . أحمد نعيم الكراعين ، دار المعرفة الجامعية ، من دون تاريخ .

٤١. قاموس علم الاجتماع .د محمد عاطف غيث ، دار المعرفة الجامعيّة .

٤٢. فقه اللّغة في الكتب العربيّة . د. عبده الرّاجحي ، دار النّهضة العربيّة ، بيروت، من دون طبعة ، و تاريخ .

٤٣. الفلسفة اللّغوية و الألفاظ العربيّة . جرجي زيدان ، مراجعة و تعليق د. مراد كامل ، دار الهلال ، ١٩٦٩ م .

٤٤. في فقه اللّغة من قضايا الدّلالة . د. عيد محمّد الطّيّب ، دار البشرى للطّباعة ، القاهرة ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ م .

٤٥. في اللّهجات العربيّة . د. إبراهيم أنيس ، مطبعة الإنجلو المصرية ، ١٩٧٣م.

٤٦. القاموس المحيط . مجد الدّين محمّد يعقوب الفيروزآبادي ، دار الجيل ، بيروت ، من دون تاريخ .

٤٧. القياس في اللّغة العربيّة . د: محمّد حسن عبد العزيز ،ط١، دار الفكر العربي ، القاهرة ،١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٤٨. الكامل لأبي العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد ، عارضه بأصوله و علّق عليه محمّد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ،القاهرة ،من دون تاريخ.

٤٩. الكتاب (كتاب سيبويه) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق عبد السّلام محمّد هارون ، عالم الكتب للطّباعة و النّشر ، بيروت، ، ١٣٧٧هـ .

٢٥. شرح المفصل للشّيخ موفق الدّين يعيش علي بن يعيش المعروف بابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) عالم الكتب بيروت ، و مكتبة الخانجي بالقاهرة ،من دون تاريخ.

٢٦. شرح الملوكي في التّصريف ،لابن يعيش ، تحقيق د. فخر الدّين قباوة ، المكتبة العربيّة بحلب ، ط١، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣ م.

٢٧. الصاحبي : أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) تحقيق السّيّد أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه .

٢٨. الصّحاح تاج اللّغة و صحاح العربيّة . لإسماعيل بن حمّاد الجوهري ، تحقيق شهاب الدّين أبو عمرو ، دار الفكر للطّباعة و النّشر ، بيروت ، ط١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

٢٩. طبقات النّحويين و اللّغويين.لأبي بكر محمد الزّبيدي .تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، دار المعارف ، مصر .

٣٠. ظاهرة الإبدال اللّغوي دراسة وصفيّة تطبيقيّة ، د. علي حسين البوّاب ، دار العلوم للطّباعة و النّشر ،ط١ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

٣١. ظاهرة التّأويل في إعراب القرآن الكريم . د. محمّد عبد القادر هنادي .مكتبة الطّالب الجامعي ، مكّة المكرّمة ،ط١ ، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م.

٣٢. ظاهرة التّوهّم في الدّراسات النّحويّة و التّصريفيّة ، د. سيّد رزق الطّويل، جامعة أمّ القرى ، مجلّة معهد اللّغة العربيّة، العدد١ ، ١٤٠٢هـ/ ١٤٠٣هـ .

٣٣. علل التّغيّر اللّغوي . د . مصطفى النّوني ، دار شمس المعرفة ، ١٩٩٠ م .

٣٤. علم الاجتماع و مدارسه ، د / مصطفى الخشاب ،مكتبة الأنجلو المصريّة ،القاهرة ، ١٩٨١ م .

٣٥. علم اللّغة . د. علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط٩ .

٣٦. علم اللّغة و فقه العربيّة .د. عيد محمّد الطّيّب ، ط١، المطبعة الإسلاميّة الحديثة ،١٩٩٣م.

٣٧. علم اللّغة الاجتماعي . د . هدسون ، ترجمة د. محمود عيّاد ،ط٢، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٠م.

Scanned with CamScanner

(١١) راجع مقال: العبرية الصهيونية واليهودية الشعبية - د/ حسن ظاظا - مجلة الفيصل - العدد ٢١٢ - صفر ١٤١٥ ص٦٠.

(١٢) المجامع اللغوية ودورها فى تعزيز اللغات - زكريا أبو حمدية - مجلة عالم الفكر الكويتية - المجلد ١٣ العدد الثانى - يوليو/ سبتمبر ١٩٨٢ - ص٢٧٤.

(١٣) السابق ص٢٧٣.

(١٤،١٥) السابق ص٢٧٢.

(١٦) محاضرات النادى الأدبى الثقافى بجدة - المجموعة الثانية ص٥٨١ - ٥٨٣ - ١٤٠٦ - ١٩٨٥م.

(١٧) المجامع اللغوية - مجلة عالم الفكر الكويتية - مرجع سابق ص٢٧٥.

(١٨) السابق ص٢٧٣.

(١٩) موسوعة المستشرقين - مرجع سابق ص٤٦٦.

•••

ثانيًا: قسم أصول اللغة

أثر الواقعة فى التطور اللغوى (عرض ومناقشة)

د. على بن عبد الله القرنى

٢- القاف العربية صورها النطقية وأبدالها

د. عبد الكريم محمد حسن جبل

٣- دراسات لهجية فى المحيط لابن عباد (الجزء الأول)

أ. د/ على محمد إبراهيم

٤- الفعلان بعث وأرسل فى القرآن الكريم

د. ناصر على عبد النبى

٥- التضمين والاقتباس

د. نور الهدى لوشن

٦- أثر اللهجة المحلية فى لغة الشعر

د. عبد التواب مرسى الأكرت

٧- أحكام نون الوقاية التركيبية من منظور علم الأصوات

د. على إبراهيم محمد

٨- مبتكرات النبى ﷺ اللغوية

د. محمود إبراهيم حسن إبراهيم

Scanned with CamScanner

وأما «غمز»، فتدور جُلّ استعمالاته حول معنى «النَّخس أو الضغط»[1]. كما في قولهم:

- «غَمَزَ الناقة»: إذا وضَعَ يدَه على ظهرها، لينظر أبها شحم أم لا.

- «غَمَزَت المرأةُ ضفائر شعرها»: إذا كبستها باليد (عند الغسل)[2].

فليس في استعمالات «غمز» ما يُدلّ على الضآلة الحسيَّة، وإنما فيها ما يُدلّ على حصول عَيْب «يُنخَس» به المغموز، وهذا هو قولهم: «ليس في فلان مَغْمَز»، أي: ليس فيه «ما يُغْمزَ فيعاب به، ولا مطعن»[3]، فهذه دلالة معنوية على العيب عامة، لا على عيب بعينه خاصة، فالمعنى المتجاذَب إذن - وهو الضآلة وقلة الغنَاء - أقمن بالانتساب إلى «قمز»، لا إلى «غمز».

* * *

٢.ب. أمثلة لا تتحقق فيها العلاقة الصوتية:

ينهض هذا القسم - في معظمه - على أمثلة انفرد بها أبو الطيب اللغوي (ت٣٥١هـ). وهي أمثلة تعوزها العلاقة الصوتية (اتحاد المخرج أو تقاربه)، وذلك مثل ما أورده من أمثلة في الأبواب الآتية:

- الباء والقاف[4].
- التاء والقاف[5].
- الدال والقاف[6].
- السين والقاف[7].
- القاف واللام[8].
- القاف والنون[9]... إلخ.

(١) وانظر: المقاييس (غمز): ٤/٢٩٤، والمفردات ص٦١٤-٦١٥.
(٢) انظر: اللسان (غمز): ٥/٣٢٩٦، والنهاية: ٣/٣٨٥٠.
(٣) انظر: اللسان: (غمز) ٥/٣٢٩٧.
(٤) الإبدال: ١/٣٠.
(٥) الإبدال: ١/١٣٨.
(٦) الإبدال: ١/٣٨٤.
(٧) الإبدال: ١/٢٠٣.
(٨) الإبدال: ١/٣٦٥.
(٩) الإبدال: ١/٣٦٩.

وقد تبيَّن لي من خلال فحص هذه الأمثلة، أنها تخرج - في جمهورها - من دائرة الإبدال إلى دائرة الترادف[1] أو شبه الترادف[2] near synonymy - إذ تبيَّن - بالبحث - أصالةُ المعنى التجاذُب في كلٍّ من جذرَي الاستعمالين المزعوم حصول الإبدال بينهما، وذلك مما ينفي - فضلاً عن إعواز العلاقة الصوتية - مَظِنّة الإبدال، ويؤكّد اقتصار القول بالإبدال على تلك الأمثلة التي تتميز بأن المعنى المتجاذَب أصيل في بعضها، ودخيل في نظائرها، فضلاً عن أنها تتوزَّع مخارج صوتية واحدة، أو متقاربة، كما مرّ.

فمن تلك الأمثلة التي أوردها أبو الطيب: أزواج الاستعمالات الآتية:

(ابتسر - اقتسر):

قال أبو الطيّب - نقلاً عن الفرّاء (ت٢٠٧هـ): «الفرّاء: يقال: ابتسرته ابتساراً، واقتسرته اقتساراً؟: إذا استكرهته»[3].

فمعنى «الاستكراه» أصيلٌ في استعمالات كلٍّ من الجذرين (بسر - قسر) مع اختلاف صورته في كلٍّ:

- **ففي «بسر»، تتمثل صورة الاستكراه في «أخذ الشيء قبل أوانه»[4]، كما في قولهم:**

- «بَسَرَ غريمَه»: إذا تقاضاه قبل محلّ المال.

(١) وانظر: ظاهرة الإبدال اللغوي ص١٣٦.
(٢) يميِّز المحدثون عادة بين نوعين أساسيين من الترادف هما: الترادف المطلق أو التام، وشبه الترادف أو الترادف الفضفاض. فالأول (التام) يُشترط للقول بوقوعه حصول اتفاق تام في المعنى الأساسي والمعاني الهامشية، مع القابلية للتبادل في كل السياقات الممكنة؛ وهو لهذا نادر الوقوع. وأما الثاني: فيكفي للقول بوقوعه حصول تقارب كبير في المعنى، مع القابلية للتبادل في بعض السياقات، وهذا النوع الأخير من الترادف هو النوع الشائع، وتدخل معظم المترادفات في نطاقه.
وانظر في تفصيل القول في ذلك: د. احمد مختار عمر: علم الدلالة ص٢٢٠-٢٣١.
(٣) الإبدال: ١/٣١.
(٤) انظر: المقاييس (بسر): ١/٢٤٩، والمفردات ص١٢٢.

Scanned with CamScanner

- ذكر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) - مما أخبر به أبو عبيدة (ت٢١٠هـ) - أن أبا مسلم الخراساني (قتل سنة ١٣٧هـ) كان يقول: «كلت لك» بدلاً من «قلت لك»[١].

- ذكر أبو حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ) أن بعض العرب كان يقول: «الكَمْح» بدلاً من «القَمْح»[٢].

- جاء في اللسان أن بعض العرب كان يقول: «كاتله الله» بدلاً من «قاتله»[٣].

* * *

(١) انظر: البيان والتبيّن ١/٧٣. وانظر - كذلك -: البلوي: ألف باء ٢/٢١٧.

(٢) انظر: ارتشاف الضرب ١/١٦.

(٣) انظر: اللسان (كتل) ٥/٣٨٢٢.

١.ب. الصور النطقية المقيدة

١.ب.١: القاف التي كالجيم الفصيحة (dz)

تماثل هذه الصورة النطقية للقاف نطق الجيم المعطّشة (الفصيحة)؛ وهذا يعني أنها تتميّز بجملة الملامح التمييزية التالية:

المخرج: التقاء وسط اللسان بوسط الغار (= الحنك الصلب hard palate). التقاءً محكمًا «يعقبه وقفة قصيرة، يليها تسريح بطيء؛ ممّا يُنتج صوتًا يجمع بين الانفجار والاحتكاك»[١].

الصفات: مركّبة (مَزْجية) affricate

- مجهورة.
- مستعلية.

ويشيع هذا النطق للقاف في بعض الكلمات في منطقة الخليج العربي: فمن أمثلة ذلك في اللهجة البحرانية: قولهم[٢]:

جِريب (بالجيم المعطّشة)	بدلاً من	قـريب
جِدّام (بالجيم المعطشة)	بدلاً من	قُـدّام
جِربه (بالجيم المعطشة)	بدلاً من	قـربه
عتيج (بالجيم المعطشة)	بدلاً من	عتيق... إلخ

(١) دراسة الصوت اللغوي ص٣١٧. وانظر - كذلك - د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٧٧ - ٧٨، ومناهج البحث في اللغة ص١٣١ - ١٣٢، وعلم الأصوات ص٣١٠.
وانظر - كذلك -:
Arabic phonology, P.32.
وانظر - من مصادر التراث: الكتاب ٤/٤٣٣، وسر الصناعة ١/٤٧، والممتع ٢/٦٦٩؛ حيث عُدّت الجيم من الأصوات الشديدة (الوقفية).

(٢) انظر: جونستون: دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية ص١٠٢، ودراسة صوتية في لهجة البحرين ص٤٠، والأصالة العربية في لهجات الخليج ص١٤٧، والتطور اللغوي: مظاهره ص٢٩.

Scanned with CamScanner

(قهر-كهر):

قال الزجاجى (ت٣٣٧هـ): «والقَهْر والكَهْر. قال الله تعالى: فأما اليتيم فلا تقهر. وقرأ ابن مسعود: فلا تكهر[١].

ذهب بعض العلماء إلى اعتداد الكاف فى قراءة «تكهر» وحدة فونيمية، لاصورة صوتية Allophone للقاف، على أن يكون ذلك من قولهم: كَهَر فى وجهه»: إذا عَبَس. وممن قال بذلك: أبو حاتم السجستانى[٢] (ت٢٥٥هـ)، وأبو جعفر النحاس[٣] (ت٣٣٨هـ)، وأبو الطيب اللغوى[٤] (ت٣٥١هـ).

فى حين ذهب آخرون إلى اعتداد الكاف فى هذه القراءة صورة صوتية للقاف، فتكون «تكْهر» مبدلة من «تقهرش - أو لغة فيها - وممن قال بذلك: أبو حيان الأندلسى[٥] (ت٧٥٤هـ).

وما أرجّحه هو الرأى الثانى؛ إذ يغلب أن يكون المقصود بالآية هو النَّهْى عن «قَهْر» اليتيم، بمعنى قَسْره على مالايريد، أو «اغتصاب» حقوقه كَرْهًا، استغلالاً لِيُتْمه، وإعوازه المُرتكن[٦] وهذه المعانى أصيلة فى استعمالات «قهر»[٧].

وأما «الكَهْر» - بمعنى العبوس فى الوجه - فلا يبدو أنه المقصود بالنَّهْى، إذ إن العبوس - أو الزَّجْر - يكون - أحيانًا - مما تتطلّبه التربية، والتنبيه على ما لا يسوغ فِعْلُه، ونحو ذلك.

---

(١) الإبدال والمعاقبة والنظائر ص٧٨ - ٧٩. وانظر - كذلك - إبدال ابن السكيت ص١١٤، وإبدال ابى الطيب ٢/٣٥٦، وامالى القالى ٢/١٣٩، والمخصص ١٣/٢٧٧، والآية المذكورة من سورة الضحى ٩٣/٢. وقراءة سيدنا ابن مسعود المذكورة موجودة بهذه النسبة فى: ابن خالويه: مختصر فى شواذ القرآن ص١٧٥، والزمخشرى: الكشاف ٤/٢٢٠، وابن عطية: المحرّر الوجيز ١٥/٤٩٢، والسمين الحلبى: الدر المصون ١١/٤١، والقرطبى: الجامع لاحكام القرآن ٢٠/١٠٠، وابو حيان: البحر المحيط ٨/٤٨٦.

(٢) انظر: المحرّر الوجيز ١٥/٤٩٣.

(٣) انظر: الجامع لاحكام القرآن ٢٠/١٠٠، ولم أجد رأى النحاس فى كتابه: إعراب القرآن ٥/٢٥٠.

(٤) انظر: الإبدال ٢/٣٥٦.

(٥) انظر: البحر المحيط ٨/٤٨٦.

(٦) وانظر: الفراء: معانى القرآن ٣/٢٧٤.

(٧) وانظر: المقاييس (قهر) ٥/٣٥.

(قشط-كشط):

قال ابن السِّكِّيت (ت٢٤٤هـ): «وقد قَشَطت عنه جِلْدَه، وكَشَطت. قال: وقريش تقول: كُشِطت، وقيس وتميم وأسد تقول: قُشِطت. وفى مصحف عبدالله بن مسعود: قُشِطت بالقاف»[١].

يصعُب - هاهنا - القَطْع بأصالة أىٍّ من الجذرين؛ إذ تكاد تتطابق استعمالاتهما[٢] إلا أن الاحتكام إلى معيار «وفرة الاستعمالات والشواهد» ربما ترجح أصالة «كشط».

فمن الاستعمالات التى وردت فى «كشط»، ولم يرد لها نظير فى استعمالات «قشط».. وإن كانت من نفس جنس المعنى المشترك بينهما:

- «تكشّط السحاب»: تقطّع وتفرّق.

- «انكشط رَوْعُه»: ذهب[٣].

(ساق-سأك):

قال الزَّجّاجى (ت٣٣٧هـ): «وساق الحمار يسوقه سوقًا، وساكه يسوكه سوقًا»[٤].

---

(١) الإبدال ص١١٤. وانظر - كذلك: إبدال الزجاجى ص٧٩، وأمالى القالى ٢/١٣٩، والمخصص ١٣/٢٧٧. والضمير فى قول ابن السكيت: «قال: وقريش..» يرجع إلى الفرّاء (ت٢٠٧هـ). انظر: سر الصناعة ١/٢٧٧، ففيه الكلام بنصه منسوبًا للفرّاء، وليس الشان بهذا التفصيل اللهجى فى كتابه: معانى القرآن ٣/٢٤١.

وجزء الآية المذكور هو من قوله تعالى: «وإذا السماء كُشِطت» التكوير ٨١/١١.

وقراءة سيدنا ابن مسعود (قُشِطت) مذكورة بهذه النسبة فى: معانى القرآن ٣/١٤١، وابن خالويه: مختصر فى شواذ القرآن ص١٦٩، والزمخشرى: الكشاف ٤/١٨٩، وابن عطية: المحرّر الوجيز ١٥/٣٣٧، والقرطبى: الجامع لأحكام القرآن ١٩/٢٣٥، وأبو حيان: البحر المحيط ٨/٤٣٤، والسمين الحلبى: الدر المصون ١٠/٧٠٥.

(٢) انظر: اللسان (كشط) ٥/٣٨٨٢ - ٣٨٨٣، والنهاية ٤/١٧٦، والتاج (كشط) ٢٠/٥٩ - ٦١، واللسان (قشط) ٥/٣٦٣٧، والتاج (قشط) ٢٠/٣٤.

(٣) انظر: اللسان (كشط) ٥/٣٨٨٣، والنهاية: ٤/١٧٦.

(٤) الإبدال والمعاقبة والنظائر: ص٧٧.

Scanned with CamScanner

- ما ورد من أن التميميين - أو أحد فروعهم - كانوا يقلبون السين صاداً قبل القاف - وكذلك قبل الخاء والغين والطاء - كما فى قولهم: «الصُّوق» بدلاً من «السُّوق».

وتفسير ذلك صوتياً - على ما سيُفصَّل فى المبحث الثالث - يشير إلى تأثر السين بالقاف مما أدّى إلى تحولها إلى نظيرها المفخم (الصاد)؛ فالأقرب إلى إحداث هذا التأثير فى السين هو القاف المستعلية المهموسة (قاف القرّاء): فاستعلاؤها - من جهة - يعطيها «قيمة تفخيمية» تقود إلى التأثير الرجعى فى السين «المرققة» وتحويلها إلى النظير المفخم. واتصاف هذه القاف بالهمس - من جهة أخرى - هو ما وجّه هذا التحول إلى النظير المفخَّم المهموس خاصة، وهو الصاد، دون النظير المفخَّم المجهور، وهو الزاى التى كالظاء المصرية.

فى حين أن «القاف البدوية» تعوزها (درجة) تفخيم «قاف القرّاء»، كما أنها مجهورة؛ فاحتمال أن تكون هذه البدوية - بأوصافها تلك - هى صاحبة التأثير المذكور على السين، يقلّ - بدرجة كبيرة - عن احتمال أن تكون قاف القراء المفخَّمة جزئياً والمهموسة هى صاحبته.

ومن جهة أخرى، فإن الراجح لدى وجود استعمالات «سينية» وأخرى «زائية» مناظرة للاستعمالات «الصادية» المنسوبة إلى تميم (مثلاً: هذه الدار بـ «لِصْق» تلك، ولِسْقها ولِزْقها) - الراجح - حينئذ - هو أن تكون القاف التالية لهذه الاستعمالات «السينية» و«الزائية» هى القاف البدوية المجهورة والمحدودة التفخيم:

فاتصاف هذه القاف بالجهر يقف من وراء الاستعمالات الزائية؛ ليحصل التماثل فى الجهر بين القاف والزاى.

واتصافها بضآلة التفخيم قد استبقى السين قبلها فى الاستعمالات السينية، دون أن تتحول إلى صاد.

ولعلّ مما يدعم ذلك - أخيراً - هو بقاء النطق «الصادى» على ألسنة الذين مازال

نطق القاف مستعلية مهموسة (= قاف القراء) جاريًا على ألسنتهم، فقبائل الشُّحوح الإماراتية - مثلاً - تقول - كما سمعتُ بنفسى -: «الصُّوق» بدلاً من «السُّوق». وذلك فى مقابل النطق السينىّ الجارى على ألسنة من ينطقون بالقاف البدوية الشائعة (السُّوك) - بالجاف الفارسية.

١.١.٤: القاف التى كالهمزة (?)

تُماثل هذه الصورة النطقية للقاف نطقَ صوت الهمزة (?) تمامًا؛ وهذا يعنى أنها تتصف بالملامح التمييزية التالية[١]:

المخرج: التقاء الوترين الصوتيين التقاءً محكمًا، ثم انفراجهما فجأة (مزمارية، أو وقفة حنجرية glottal Stop).

الصفات: - وقفية (شديدة).

- لا بالمجهورة ولا بالمهموسة[٢].

وتشيع هذه الصورة النطقية للقاف شيوعًا كبيرًا فى القاهرة ومدن الوجه البحرى بمصر، وفى بلاد الشام[٣] فيقال - مثلاً -:

أَلْـــبْ	بدلاً من	قَـلْـب
صَـــأَر	بدلاً من	صَـقْـر
بَـــرْء	بدلاً من	بَـــرْق

(١) انظر: د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٩٠-٩١، ودراسة الصوت اللغوى ص١٢٨-١٢٩ والمدخل إلى علم اللغة ص٥٦.

(٢) هذا هو الرأى الراجح. انظر: د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٩١، ودراسة الصوت اللغوى ص١٢٩، وعلم الأصوات ص٢٨٨. ولم أذكر وصف الهمزة بالاستعلاء أو الاستفال؛ لأنه وصف غير ملائم لها؛ لارتباطه باللسان، ولا دخل للسان - أصلاً - فى نطق الهمزة.

(٣) انظر ليتمان: بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى ص٢٧، ود. أنيس: الأصوات اللغوية ص٨٧، وبحوث ومقالات فى اللغة ص١٣-١٤، ود. الحولى: الأصوات اللغوية.

Scanned with CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

أبادر و أقول : قصدي من الواقعة ما نَدَّ عن أحد الألسنة؛ نتيجة أخطاء السَّمع ،أو الكلام،أو القلم (التصحيف)، أو نتيجة من نتائج الآفات الصَّوتيَّة ؛التي أصابت الجهاز النُّطقي للإنسان .و هي بضدِّ الظَّاهرة؛ التي تتَّسم بالفشوِّ على ألسنة النَّاطقين في المجتمعات ؛ حتَّى أصبحت عُرْفا لغويّا لدى أبناء تلك اللُّغة .

و قد أفدت هذين المصطلحين من علم الاجتماع ؛ فالواقعة ما يطلق على المشاهد و المواقف الفرديَّة[1] ، في حين أنَّ الظَّاهرة ما يفرضه العقل الجمعي ، و يخضع له الأفراد ، و تتسم بالثَّبات عبر الأجيال[2] .

و لما كانت اللُّغة إحدى الظَّواهر الاجتماعيَّة رأيت الاستفادة من هذين المصطلحين في مناقشة هذه المسألة غير أنِّي قيَّدتها ــ هنا ــ بالجانب اللُّغوي .

وذهب لفيف من العلماء في العصر الحديث إلى أنَّ عددا من الظَّواهر اللُّغوية تعود في نشأتها إلى أخطاء الأطفال، أو أخطاء السَّمع، أو الكلام، أو نتيجة من نتائج الآفات الصَّوتيَّة؛ التي أصيب بها الجهاز النُّطقيُّ للإنسان .

و من ذلك : ما ذهب إليه دي سوسير ؛ حين رأى أنَّ التَّفسير ؛ الذي ظلَّ مفضَّلا لعدة سنوات ،يعزو التَّغيُّرات – في النُّطق- إلى ثقافتنا الصَّوتيَّة في مرحلة الطُّفولة، غير أنَّ الطِّفل ينجح في نطق ما يسمعه بعد كثير من المحاولات و التَّجارب و التَّصحيحات ، و قرَّر أنَّ الأخطاء ؛ التي لا تجد مصحِّحا سوف تستمرُّ مع الفرد ، و تثبت مع النَّاشيء [3].

وهذا الدكتور إبراهيم أنيس ـعَقِبَ حديثه عن الإبدال بين الباء و الميمـ يقول : " وهذه الظَّاهرة ليست إلا نتيجة أخطاء الأطفال في البيئة المنعزلة؛ التي لا يجد فيها الطِّفل فرصة كافية لإصلاح أخطائه ، فيشبّ عليها ، و تصبح فيما بعد نطقا جديدا في جيله "[4].

و لم يكن له سند مكين من الواقع اللُّغوي في معالجة هذه المسألة ؛ إذ بنى ذلك على التَّخيُّل ، فقال : " فلنتصوَّر بيئة منعزلة اجتماعيا، أو غير مستقرَّة على حال ، لا يجد فيها الأطفال من

[1] ظ:درس علم الاجتماع ١٧٤ .
[2] علم الاجتماع و مدارسه ٢٦٨ – ٢٦٩ .
[3] فصول في علم اللُّغة العام ٢٦١ .
[4] في اللَّهجات العربيَّة ١١٩ .

رعاية الآباء ما يستحقُّونه ؛ و ذلك لانشغال الرِّجال بأمور الحرب، أو السَّفر في تجارة زمنا طويلا ، كما أنَّ النِّساء منصرفات عن أبنائهن بشئون الحياة العسيرة الشَّاقَّة ، و لا يجدن من الوقت- مع ما هنَّ فيه من مشقة و عسر- ما يكفي للنَّظر في شئون أطفالهن، و التَّحدُّث إليهن حديثا هادئا وادعا؛ يصلح من نطقهم، و يرشدهم إلى الصَّواب "[1] و قرَّر أنَّ الأطفال؛ الذين لمَّا تكتمل مراحل نطقهم، يلازم بعضهم بعضا ، و يأخذ الكبير فيهم مكان الأم، أو الأب ، فإذا شبَّ هذا الجيل احتفظ ببعض أخطاء الطُّفولة؛ التي تصبح- فيما بعد- عنصرا معترفا به في لهجتهم .[2]

و تابعه في ذلك د. أحمد علم الدِّين الجندي؛ الذي قرَّر " أنَّ بعضا من ظواهر الإبدال قد ترجع إلى خطأ الأطفال، و انتقال اللُّغة من السَّالفين إلى الخالفين "[3]. و كذلك د . عبد العزيز علام؛ الذي عدَّ ذلك مظهرا من مظاهر تأثير الفرد في اللُّغة؛ حيث إنَّه- لظروف معيَّنة- قد يغيِّر في طريقة نطق بعض الأصوات ، و مع عدم التَّربية اللُّغوية ، و تصويب الأخطاء في مراحل الطُّفولة، يبقى هذا التَّغيير في لغة هذا الفرد، و ينتشر إلى الآخرين ، و مع مرور الزَّمن يصبح هذا الخطأ جزءاً من النِّظام اللُّغوي ، مقرِّرا أنَّ كثيرا من مفردات الإبدال، و التَّرادف، ترجع في منشئها إلى هذا العامل .[4]

و من هذه الأخطاء: ما يقع فيه بعض الأطفال من تغيير في ترتيب أصوات الكلمات ، و هو ما يعرف بالقلب المكاني ، يقول د . إبراهيم أنيس : " و من بين الأخطاء- التي قد تعرض للنَّاشئين- تغير في ترتيب أصوات الكلمات "[5] و دلَّل على ذلك بعقد موازنة بين العربيَّة الفصحى، و لهجة الكلام المصريَّة ؛مثل : بحلق : حملق ،و جوز : زوج ، و خفس : خسف .[6]

أمَّا د. عيد محمَّد الطَّيِّب،فقد ناقشها في ضوء الفصحى ؛ إذ قال : " و ربَّما لم يصحَّح الخطأ؛ فيشيع و يذيع ؛و يكتسب حقَّ الوجود اللُّغوي ، يدلُّ على ذلك احتفاظ معجماتنا بالصُّورتين

[1] السَّابق .
[2] السَّابق.
[3] اللَّهجات العربيَّة في التُّراث ١/ ٣٥٤ .
[4] التَّموُّ اللُّغوي و الطُّفولة ، جامعة الأزهر ، مجلة كليَّة اللُّغة العربيَّة بالقاهرة ، ع ٨ ، ١٩٠ .
[5] في اللَّهجات العربيَّة ٢٣١ .
[6] السَّابق .

Scanned with CamScanner

لها: الأصليّة، و المقلوبة؛ مما يدلُّ على استعمالهما معا "[1].و رأى أنّ المتكلّم قد يكون في أثناء الكلام يفكّر في أمر يشغله،أو يعجله ، فيسارع إلى الكلام باللّفظ مختلا في ترتيب الحروف ، و قد يسمع ذلك طفل في طور التّلقي، فيحاكيه دون أن يجد مصحّحا لهذا الخطأ فيشيع ، و بمرور الوقت يصير من الألفاظ المعتمدة ؛ معوّلا في ذلك على العرف اللّغوي؛ الذي لم يعد ينكره . و قد يجد الطّفل أنّه في مرحلة تلقّي اللّغة مطالب في حفظ اللّغة بأمور : حفظ اللّفظ بأصواته المعيّنة ، و حفظه بالأصوات المرتّبة بترتيب معين ، و حفظ ذلك مقرونا بدلالة معيّنة ، فيهتمُّ بالأمر الأوّل و الثّالث ؛ لأهمّيتهما في نظره ، و يتساهل في الأمر الثّاني ، فإذا أراد أن يستخرج اللّفظ من رصيده اللّغوي، وجد صعوبة في أدائه على الصّورة؛ التي رسمها [2] .

في حين رجع الشّدياق ذلك إلى قلة المبالاة، واصفا الذين ارتكبوا القلب، و الإبدال، و اللّثغة بأنّهم قد جاءوا كلّ ما شان المستعربين من بعدهم؛ من تحويل الكلم و تحريفه ، فجعلوا القاف همزة في قوم و أوم ؛ أي: أكل ، و زنق وزنأ ؛ أي: ضيّق [3] .

و من أخطاء الأطفال: أنّه قد يخطئ في عمليّة القياس؛ فيولّد لنا كلمات كثيرة بعيدة عن الصّواب [4].يقول د . رمضان عبد التّوّاب : " أمّا إذا خالف هذا القياس ما شاع في اللّغة ، فإنّنا –حينئذ- نعلم أنّه من عمل الفرد، و ليس مما سمعه من قبل ، و هذا ما يسمّيه اللّغويون المحدثون باسم القياس الخاطئ "[5] و هو ما يراد به: " الميل العارض؛ الذي لا يمكن التّنبّؤ بحدوثه من كلمة أو صيغة إلى الخروج عن مدارها الطّبيعي في التّطوّر، و الدّخول في طبيعة كلمة، أو صيغة أخرى؛ لوجود مشابهة حقيقية، أو متوهّمة بينهما "[6] و من ذلك: ما ذهب إليه د. إبراهيم أنيس في باب " كرُم " ؛إذا رأى أنّه باب غريب؛ لا يخضع لقانون المغايرة ، و لا نكاد نلحظ فيه أثرا لحروف مجاورة، و رأى أنّه " يمكن أن نفسّر بعض هذه الأفعال على أنّها نشأت عن طريق القياس الخاطئ false analogy وهو ما تقع فيه الأجيال النّاشئة، ثم يشيع بعد ذلك حين يصبح الصّغار كبارا . ففي البيئات البدائيّة- حين ينعزل الجيل الصّغير

---

[1] اللّغة العربيّة في مواجهة الحياة ١٨٨ .
[2] الشّدياق ، و في فقه اللّغة من فضلها الضّلالة ١١٩ .
[3] الجاسوس على القاموس ١٨٢ .
[4] في اللّهجات العربيّة ٢٣٢ .
[5] التّطوّر اللّغوي ١٠٠ .
[6] أسس علم اللّغة ١٤١

عن الكبار حولهم ، و حين لا تتاح لهم فرص إصلاح الأخطاء ،يقيس الأطفال- أحيانا- قياسا خاطئا بعض المشتقات ، و تنشأ في كلامهم صيغ جديدة، لا وجود لها في صيغ الكبار، ثم يصبح ما كان يُعدُّ خطأ معترفا به بين أفراد الجيل النّاشئ "[1].

و هناك ما يعرف بالفصل الخاطئ ؛ و ذلك كأن تلتصق بعض الأدوات بالكلمات المجاورة لها التصاقا شديدا؛ يؤدّي إلى التباس الأمر على السّامع، فيظنُّ أنّ الأداة مع ما دخلت عليه كلمة واحدة، فيستعملها بشكل جديد ، و هو بهذا يفصل بين عناصر الجملة بطريقة غير صحيحة [2] .

ودلّل على ذلك د. رمضان عبد التّوّاب بواقعة حدثت لابنته و هي صغيرة؛ إذ سمعت أحاها يقول : " أنا معاي أربع تقلمة " فقالت : " و أنا عاوزة تقلمة زيّه " فالذي حصل هنا أنّها فصلت تاء التأنيث من أربعة ووضعتها مع كلمة " أقلمة " ، و هو الجمع الشّائع لكلمة " قلم " في العاميّة المصريّة . و رأى أنّ ذلك قد حدث في الفصحى، مستدلا على ذلك بما ذكره جرجي زيدان في الفلسفة اللّغوية في كلمة (مال) [3]؛ الذي رأى أنّها مكوّنة من: (ما) الموصولة و لام الجر؛ فاقتطعت (اللام)وضُمّت إلى(ما) فصارت مال ، و كانوا يريدون بقولهم : "مالك "الذي لك و مقتنياتك [4].

و قريب من هذا ما ذهب إليه الفرّاء من أنّ (منذ) مركبة من : (من) + (ذو) ثم حذفت الواو تخفيفا [5].

يقول أولمان : " قد يؤدّي الخطأ في تحليل الكلمات إلى نزع صوت من كلمة و إضافته إلى كلمة أخرى؛ تجاورها مباشرة "[6].

و رأى د . أحمد علم الدّين الجنديّ أنّ بعض أمراض الكلام كانت عاملا من عوامل التّطوّر اللّغوي ؛ فالإنسان المريض بالجيوب الأنفيّة أو الزّكام- مثلا- إذا أراد أن ينطق بكلمة " حملت " فإنه ينطقها بالباء [7].

---

[1] من أسرار اللّغة ٥٥ – ٥٦ .
[2] التّطوّر اللّغوي ١٤٥ .
[3] السّابق
[4] الفلسفة اللّغوية ١٠٥ .
[5] الإنصاف ١/ ٣٨٣ ، ٣٨٥ ، شرح المفصل ٨ / ٤٥ ، ١٠ / ٩٥ ، الهمع ٣/ ٢٢١ .
[6] دور الكلمة في اللّغة ٤٢ .

Scanned with CamScanner

- قبيلة «العجمان» - بالكويت - وذلك بالإضافة إلى النطق البدوى الشائع(١).

- بعض مدن الشمال الإفريقى مثل مدينة تونس وقسنطينة..(٢).

- بعض مدن الشمال الإفريقى مثل مدينة تونس وقسنطينة..(٢).

- أهل الجبال المحيطة بمدينة «تطوان» الواقعة شمال المغرب(٣).

ويبدو أن هذه الصورة النطقية للقاف كانت هى الشائعة لدى قبيلة «تميم»، - أو بعض فروعها - يقول ابن دريد (ت٣٢١هـ) - وتابعه ابن فارس (ت٣٩٥هـ): «فأمّا بنو تميم، فإنهم يُلحقون القاف باللهاة، فتغلظ جدًّا، فيقولون للقوم: الكوم، فتكون القاف بين الكاف و لقاف، وهذه لغة معروفة فى بنى تميم. قال الشاعر:

ولا أكــول لكذر الكوم كــذ نضــجت
ولا أكــول لبــاب الدار مكفــول(٤)

وقد تتلَّيتُ هذا «الشاهد» فى كثير من مصادر اللغة، عسى أن أجد فى أىٍّ منها تعليقًا على طريقة نطق «القاف» المتكررّة فيه، فلم أجد. وكان سبب تردُّده فى جمهرة هذه المصادر هو الاستشهاد على وقوع اللحن فى ألسنة بعض العامّة باستبدال «غَلِيَتْ» بـ«غَلَتْ»، و«مغلوق» بـ«مُغْلَق»(٥).

(١) انظر: شريفة المعتوق: لهجة العجمان فى الكويت: دراسة لغوية ص٥٨ - ٥٩.
(٢) انظر: دروس فى علم أصوات العربية ص١٠٩.
(٣) انظر: د. عبد المنعم سيد عبد العال: لهجة شمال المغرب ص٨١.
(٤) جمهرة اللغة ١/ ٤١ - ٤٢، والصاحبى ص٣٦ - ٣٧. وانظر - كذلك - البلوى: ألف باء ٢/ ٢١٧، والبيت المذكور هو لأبى الأسود الدؤلى، وهو موجود فى ملحقات ديوانه المطبوع ص١١٩، مع اختلاف فى نهايتى الشطرين: «غليت» بدلاً من «نضجت»، و«مغلوق» بدلاً من «مكفول».
(٥) انظر - مثلاً -: الكسائى: ما تلحن فيه العامة ص٢١ (ونسب فيه الشاهد خطأ إلى حاتم الطائى)، وابن السكيت: إصلاح المنطق ص١٩٠، وفصيح ثعلب ص٢٦٢، وابن دُرَسْتَوَيْه: تصحيح الفصيح ص٥٣، ١٦٦، والجوهرى: الصحاح (غلق) ٤/ ١٥٣٨، و(غلا) ٦/ ٢٤٤٨، والخطيب التبريزى: تهذيب إصلاح المنطق ص٤٥٧ - ٤٥٨، والعكبرى: المشُوف المُعْلَم فى ترتيب الإصلاح على حروف المعجم ٢/ ٥٥٠، ولسان العرب (غلق) ٥/ ٣٢٨٣، و(غلا) ٥/ ٣٢٩٢، وتاج العروس (غلق) ٢٦/ ٢٥٨، ٢٥٩ (ط. الكويت)، و(غلى) ١٠/ ٢٧٠ (ط. بولاق).

والذى أرجحه: أن هذه القاف التى أشار إليها ابن دريد - التى عزاها إلى تميم - هى نفسها قاف القرّاء المعاصرة، لا القاف البدوية (= الجيم القاهرية تقريبًا)، كما رجح بعض الباحثين(١)، وذلك لما يلى:

- قول ابن دريد عن تلك القاف إن بنى تميم «يلحقونها باللهاة» فالقاف «اللهوية» هى قاف القرّاء المعاصرة (المستعلية)، وليست القاف البدوية؛ لأن تلك الأخيرة تنتج - كما فى النطق الشائع الآن - بالتقاء مؤخَّر اللسان فى نقطة قريبة إلى وسطه بما فوقه من الحنك اللين؛ فهى - إذن - ليست لهوية.

- أن كلام ابن دريد - وكذلك: ابن فارس - عن تلك القاف، كان فى سياق التعرّض لبعض الصور النطقية الخاصة لبعض الأصوات العربية (كالجيم غير المعطشة...). فى حين أن النطق البدوى للقاف كان - وما يزال - هو الصورة النطقية الشائعة لها فى الجزيرة العربية، وقد سبق أن أوردتُ كلام أبى حيان (ت٧٥٤هـ) وابن خلدون (ت٨٠٨هـ) بهذا الشأن.

فاختصاص الصورة النطقية التميمية بالذكر - إذن - يشير إلى قلّة شيوعها من جهة، ويرجِّح - من جهة أخرى - أن المقصود بها قافُ القرّاء المعاصرة، فهى القاف التى كانت - وما تزال - الأقلّ شيوعًا على ألسنة أهل الجزيرة العربية فى كلامهم الدارج.

- وصَفُ ابن دريد لهذه القاف بأن إلحاقها باللهاة يؤدى إلى أن «تغلُظ جدًّا»، يرجِّح - كذلك - أنه يعنى «قاف القرّاء»؛ إذ يغلب أن يكون مقصوده بالوصف بـ«الغِلَظ» هو التنويه بأن لهذه القاف «قيمة تفخيمية» ملحوظة، وهذا أكثر انطباقًا على قاف القراء؛ فإنها أكثر تفخيمًا من تلك البدوية؛ لأنها أكثر عمقًا(٢).

(١) انظر - مثلاً -: د. مطر: خصائص اللهجة الكويتية ص٣٢ - ٣٣، ود. ضاحى عبد الباقى: لغة تميم ص١٠١ - ١٠٢، ود. عيد الطيب: لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر ص١٢.
(٢) سيُفصَّل القول فى تفخيم القاف فى المبحث الثالث.

Scanned with CamScanner

(امتق - امتك):

قال ابن السِّكِّيت (ت٢٤٤هـ): «ويقال للصبيّ والسَّخْلة: امتكّ ما فى ضَرْع أمّه، وامتَقّ ما فى ضَرْع أمه: إذا شربه كلّه»[١].

فاستقراء استعمالات كلٍّ من الجذرين - وكلاهما وافر الاستعمالات والشواهد - يقود إلى ترجيح أصالة هذا المعنى المتجاذَب «الاستقصاء فى الشُّرْب أو المصّ) فى «مكّ»؛ إذ تدور حوله جُلّ استعمالاته، كقولهم - فضلاً عن الاستعمال المذكور:

- «امتكّ العَظْمَ»: امتصّ ما فيه من المُخّ.

- التسمية بـ «مكّة»: إمّا لأنهم كانوا يمتكون الماءَ فيها لقلّته، وإمّا لأنها كانت تَمُكّ (تُفنى) مَنْ ظَلَم فيها وألحد[٢].

وأما «متّ»، فيبدو معنى «الاستقصاء فى المص» غريبًا عليه؛ إذ تدور جُلّ استعمالاته حول معنى «الطول - أو الاتساع - الزائد»[٣]، كقولهم[٤]:

- «وجه أمَتّ»: طويل كوجه الجرادة.

- «حِصْن أمَتّ»: واسع.. إلخ.

وإلى مِثْل هذا، أشار ابن جنى بقوله: فى سياق ترجيحه لأصالة «مكّ» دون «متّ» فى التعبير عن الاستقصاء فى المص: «... وكذلك قولهم للرجل الطويل: أمَتّ، لا نسبة بينه وبين امتَقّ فى المعنى»[٥].

(قتال - كتال):

قال أبو الطيب: «يقال: ناقة ذات قَتال وكَتال: إذا كانت غليظة كثيرة اللحم»[٦].

(١) الإبدال ص١١٣. وانظر - كذلك - إبدال ابى الطيب ٢/٣٥٥، وأمالى القالى ٢/١٣٩، وسر الصناعة ١/٢٧٧-٢٧٨، والمخصص ١٣/٢٧٧.
(٢) انظر: اللسان (مكك) ٦/٤٢٤٨. وانظر - كذلك -: سر الصناعة ١/٢٧٧-٢٧٨.
(٣) وانظر: المقاييس (متى) ٥/٢٧٤.
(٤) انظر: اللسان (متق) ٦/٤٢٤٤.
(٥) سر اصناعة ١/٢٧٨.
(٦) الإبدال ٢/٣٦٠.

فهذا المعنى المشترك (الغِلَظ وكثرة اللحم) آصل فى «كتل»، وألْيق بدلالات استعمالاته التي تدور فى مجملها على «التجمع والتكتّل» كقولهم:

- «الكُتْلة» للقطعة من الطين، واللحم، والصَّمْغ[١].

فى حين يبدو هذا المعني المشترك غريبًا على «قتل» الذى تدور مجمل استعمالاته على معنى القتل المعروف: بصورته الحقيقة أو المجازية[٢] وقد قرر ابن فارس (ت٣٩٥هـ) - من قبل - حصول هذا الإبدال، فقال: «...يقال: ناقة ذات قَتال: إذا كانت وثيقة. وقال بعض أهل العلم: هذا إبدال، والأصل: الكَتال، وهو يدلّ على تجمُّع الجسم، يقال: تكتَّل الشيءُ: إذا تَجَمَّع، وهذا وجه جيِّد»[٣].

(قهد - كهد):

قال الزجاجى (ت٣٣٧هـ): «ويقالك نعجة قَهْدة، وكَهْدة فى لونها»[٤].

فالدلالة على «اللون» أصيلة فى «قهد» - دون كهد - إذ تدور حولها جُلّ استعمالاته[٥] وذلك كقولهم:

- «القَهْد» للأبيض من أولاد الظباء والبقر[٦].

وأما «كهد»، فتبدو الدلالة على «اللون» غريبة عليه؛ إذ تدور جُلّ استعمالاته حول معنى «الحركة المتردّدة»[٧]، كما فى قولهم:

- «شيخ كَوْهَد»: إذا كان يُرْعَش من الكِبَر.

- «واكْوَهَدّ الفَرْخُ»: إذا تحرك - مرتعداً - إلى أمه: لتَزُقّه[٨].

(١) انظر: اللسان (كتل) ٥/٣٨٢٢.
(٢) انظرك المقاييس (قتل) ٥/٥٦.
(٣) المقاييس (قتل) ٥/٥٧.
(٤) الإبدال والمعاقبة والنظائر ص٧٨.
(٥) وانظر: المقاييس (قهد) ٥/٣٥
(٦) انظر: (قهد) فى اللسان ٥/٣٥٦٤، والتاج ٩/٨٢.
(٧) وانظر: المقاييس (كهد) ٥/١٤٣.
(٨) انظر: (كهد) فى الصحاح ٢/٥٣٣، واللسان ٥/٣٩٤٥، والتاج ٩/١٢١-١٢٢.

Scanned with CamScanner

* **Lehmann, Winfred P:**

- historical linguistics: an introduction, Holt, rinehart and Winston, INC, New York, 1973.

* **O'connor J,D:**

- Phonetics, Penguin books, England, 1976.

* **Yale, George:**

- The study of language: an introduction, Cambridge university press, Cambridge, 1993.

دراسات لهجية في الجنوب لأبي عبد
الجـــزء الأول
المستوى الصوتي
أ.د/ علي محمد أبو المكارم
الأستاذ بقسم أصول اللغة بكلية اللغة العربية بالقاهرة

ثانيا: المصادر الأجنبية

* **Al - ani, Salman:**

- Araic Phonology : an acoustical and physiological investigation, indiana university, mouton, 1970

* **Carr, Philip:**

- Phonology, The macmilan prss LTD, London, 1993.

* **Crystal, David:**

- A dictionary of Linguistics and phonetics, Blackwell Pubishers, Oxford, 1997.

* **Fromkin Victoria & Roadman, Robert:**

- An introduction to language, Harcourt brace Jovanovich college publishers, New York, 1993.

* **Hawkins, Peter:**

- Introducing phonology, Hutchinson, London, 1988.

* **Lade Fogd, Peter:**

- A Course in phonetics, Harcourt Brace Jovanovich, Publisers, New York, 1982.

Scanned with CamScanner

• المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد):

- المقتضب: تحقيق محمد عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٤١٥هـ - ١٩٨٥م.

• د. محمد حسن جبل:

- المختصر في أصوات اللغة العربية: دار الصحابة - طنطا ٢٠٠١م (الطبعة الثانية).

• د. محمد على الخولى:

- الأصوات اللغوية: دار الفلاح - عمّان ١٩٩٠م.

- مدخل إلى علم اللغة: دار الفلاح - عمّان ١٩٩٣م.

• محمد مكى نصر:

- نهاية القول المفيد في علم التجويد، المكتبة التوفيقية - القاهرة (دون تاريخ).

• د. محمود السعران:

- علم اللغة: مقدمة للقارئ العربى، دار النهضة العربية - بيروت (دون تاريخ).

• مكى بن أبى طالب القيسى:

- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: تحقيق د. أحمد حسن فرحات، دار عمّار - عمّان ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

• المناوى (محمد عبد الرؤوف):

- التوقيف على مهمّات التعاريف: تحقيق د. محمد رضوان الداية، دار الفكر - دمشق ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

• ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى):

- لسان العرب: طبعة دار المعارف بمصر.

• موسكاتى، سبانتينو:

- مدخل إلى نحو اللغات السامية: ترجمة د. مهدى المخزومى ود. عبد الجبار المطلبى، عالم الكتب - بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

• ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن على):

- شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية - مصر (دون تاريخ).

• • •

- سيف «سقيل»، و«صقيل»: مشحوذ... إلخ.

ولم يرد فى «زقل» - باللسان - استعمال مناظر لأى من استعمالات «سقل» و«صقل»[1].

(سلق - صلق):

استعمالاتهما متداخلة، وكلاهما غزير الشواهد؛ ولذا يقول ابن فارس - بعد أن أورد استعمالات «صلق» -: «ولا أنكر أن يكون هذا الباب كله محمولاً على الإبدال»[2].

ومن تلك الاستعمالات المتداخلة[3]:

- «سلق» و«صَلَق»: صاح. وقُرِئ: «صَلَقوكم بألسنة حِداد» بدلاً من «سلقوكم».

- خطيب «مِسْلَق» و«مِصْلَق»: إذا كان فصيحًا بليغًا... إلخ.

ولم يرد فى «زلق» استعمال مطابق لأى من استعمالات «سلق» و«صلق».

(سوق - صوق):

استعمالاتهما متداخلة، إلا أن «سوق» زعمَ تصرُّفًا، كما أنه غزير الشواهد، فلعلّه هو الأصل. وقد نسبت الاستعمالات الصادية - نصًّا - إلى بنى العنبر من بنى تميم.

(١) انظر: اللسان (زقل) ٣/١٨٤٥.

(٢) المقاييس (صلق) ٣/٣٠٧.

(٣) انظر: إبدال ابى الطيب ١٧٤، وذكر الفرق بين الأحرف الخمسة ص٣٣٦، وابن الأثير: النهاية فى غريب الحديث والأثر ٣/٤٨، واللسان (سلق) ٣/٢٠٧٠ - ٢٠٧١، و(صلق) ٤/٢٤٨٤ - ٢٤٨٥. والقراءة المذكورة واردة فى تفسير الكشاف ٣/٢٣١، والمحرر الوجيز ١٢/٣٣، والبحر المحيط ٧/٢٢٠.

فمن تلك الاستعمالات المتداخلة[1]:

- «السُّوق»، و«الصُّوق»: حَدْو الإبل.

- «السَّوق»، و«الصَّوق»: موضع البياعات.

- «الساق»، و«الصاق».

- «السُّويق»، و«الصُّويق»: ما يتخذ من الحنطة والشعير... إلخ.

ولم يرد فى «زوق» - باللسان - استعمال مناظر لأى من استعمالات «سوق» و«صوق»[2].

(لصق - لسق - لزق):

استعمالاتها متداخلة، وقد نسبت الاستعمالات «الصادية» إلى «تميم»، و«السينية» إلى «قيس»، و«الزائية» إلى «ربيعة»[3].

ومن الاستعمالات المتداخلة[4]:

- هذه الدار بـ«لِصْق» هذه، و«لِسْقها»، و«لِزقها»، أى: بجانبها.

- «اللَّصَق»، و«اللَّزَق»، و«اللَّسَق»: التصاق الرئة بالجنب من العطش... إلخ.

(١) انظر: إبدال ابى الطيب ٢/١٩٠، وذكر الفرق بين الأحرف الخمسة ص٣٣٦، واللسان (سوق) ٣/٢١٥٣ - ٢١٥٦ و(صوق) ٤/٢٥٢٨، والتاج (صوق) ٢٦/٤٣.

(٢) انظر: اللسان (زروق) ٣/١٨٩١.

(٣) انظر: اللسان (لصق) ٥/٤٠٣٢. وانظر: لغة تميم ص١٣٧.

(٤) انظر: إبدال الزجاجى ص٦٤، وإبدال ابى الطيب ٢/١١٥، وديوان الأدب ١/١٩١، والمقاييس (لصق) ٥/٢٤٩، و(لسق) ٥/٢٤٨، و(لزق) ٥/٢٤٤، وذكر الفرق بين الأحرف الخمسة ص٣٣٦، واللسان (لزق) ٥/٤٠٢٧، و(لسق) ٥/٤٠٢٩، و(لصق) ٥/٤٠٣٢.

Scanned with CamScanner

وتلاحظ بعد:

- أن تبادل السين والصاد قبل القاف يفوق كثيراً تبادل الزاى مع أى منهما: وربما يعكس ذلك أن صفة (التفخيم / الترقيق) أقوى تأثير من صفة (الجهر / الهمس) لدى تجاور الأصوات.

- تراوحت المماثلة الصوتية الرجعية هاهنا بين أن تكون تجاورية Contact (= انعدام الفاصل)، وأن تكون تباعدية distant (= وجود فاصل):

فمثال الأولى: (أسْقبت دارهم / أصقبت - خطيب مِسْقع / مِصْقع ...).

ومثال الثانية: (ثوب سفيق / صفيق - صَقْر / سقر / زقر - سَلَق / صَلَق - سُوق / صُوق ...).

الخاتمة

يمكن حصر أهم النتائج التى أمكن الوقوف عليها من خلال دراسة الصور النطقية للقاف، وأمثلة إبدالها، وتأثيرها فى بعض ما جاورها من الأصوات، فيما يلى:

أولاً: أن الصور النطقية للقاف - كما وصفها القدماء وكما تتحقق فى اللهجات العربية المعاصرة - تنقسم إلى صور مطلقة لا يرتبط تحققها بقيد خاص (قاف القدماء - قاف القرّاء - القاف التى كالهمزة - القاف التى كالكاف)، وأخرى مقيدة يرتبط تحققها بقيد خاص: صوتى (القاف التى كالجيم المعطشة - القاف التى كالدال والزاى مركَّبيْن) أو ثقافى (القاف التى كالغين).

ثانياً: أن القاف التى وصفها القدماء (=لهوية + وقفية + مجهورة + مستعلية) لا تكاد تنطبق على أى من صورها النطقية الذائعة: إما لحصول تباين فى المخرج، كما هو الشأن فى القاف البدوية (طبقية)، والتى كالكاف (طبقية)، والتى كالهمزة (مزمارية)، أو لحصول تباين فى الصفات، كما هو الشأن فى قاف القراء (مهموسة)، والقاف التى كالغين (احتكاكية).

ثالثاً: راجّح البحث - بعد أن القاف البدوية هى القاف التي عناها القدماء بوصفهم، على أحد فرضين: إما أنها كانت لهوية بالفعل (تخرج من أقصى اللسان) ثم تغيرت فصارت طبقية على النحو الشائع الآن. وإما أن مفهوم «أقصى اللسان» - وهو المخرج الذى حدّده القدماء للقاف - كان يتسع ليشمل الثلث الداخلى من اللسان كذلك؛ فينطبق التحديد - بالتالى - على القاف البدوية المعاصرة.

Scanned with CamScanner